جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد السادس والأربعون ج١
شباط / ٢٠٢٢

الفاظ الاضطراب والاهتزاز في القرآن الكريم دراسة دلالية

ا.م.د. إيمان صالح مهدي
جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي
mahdi.eiman@yahoo.com

الملخص :

إن القرآن الكريم ميدان رحب وواسع لدراسة الألفاظ و دلالاتها الصوتية المتنوعة .وهو مشحون بألفاظ ذات دلالة خاصة سميت بألفاظ الاضطراب والاهتزاز تشعرك أصواتها بداهة بالحركة والاهتزاز ،فإذا تبينت معانيها اللفظية والسياقية تأكد ذلك المعنى (الانطباعي البدهي) وهو أمر سنثبته عن طريق استعراض طائفة واسعة من أقوال اللغويين والمفسرين في جملة كبيرة من تلك الألفاظ التي سنعالجها في فقرات بحثنا هذا وقد تعددت مبانيها فهي تارة مكررة المقطع وتارة مكررة الصوت الواحد وتارة على بناء معين مثل فعلل. وكل بناء مقصود في مكانه ويحمل دلالة خاصة لا ينفع تبديله بغيره ،وهذا من روائع البلاغة القرآنية .

الكلمات المفتاحية : الفاظ الاهتزاز ، التكرار ، جرس الصوت ، دراسة دلالية

Abstract:

The Holy Quran is a vast and wide field for studying words and their various phonetic connotations. It is loaded with words with a special significance called vibrating words, the sounds of which make you feel the intuition of movement and vibration. If you find out their verbal and contextual meanings , that meaning is confirmed(impressionist ,intuitive), and it is something that we will prove by reviewing a wide range of statements of linguists and commentator in a large number of those aphorisms that we will address in the topics of our research . Its buildings were many, sometimes they repeated the syllable , sometimes they repeated the same sound ,and sometimes they were based on a specific building , such as the verb .Each intended building is in its place and bears a special significance that cannot be replaced by another , and this is one of the masterpieces of Quranic rhetoric

Key words :vibrating words, Repetition, bell sound, Semantic study.

المقدمة:

إن الحديث عن الأصوات وأثرها في دلالة الكلمة ، ليس حديث العهد ،بل هو موضوع تناوله اللغويون العرب في مؤلفاتهم ،ابتداءً من مقدمة (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٥هـ) ، إذ قال :" صرّ الجندب صريرا ،وصرصر الأخطبُ صرصرة ،فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدًا وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا ، ونحو ذلك كثير مختلف" (الفراهيدي ،١٩٨٠ ،ج١ ص٥٦).

فالخليل يعد بهذا أول من أشار ونبه على وجود علاقة بين الصوت ودلالته ، وجاء من بعده تلميذه سيبويه (ت ١٨٠هـ) ليؤكد ما ذهب إليه شيخه ، إذ قال :" ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني ، قولك: النزوان والنقزان ،وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ... وقد جاء على فُعال نحو النُزاء والقُماص ،كما جاء الصوت نحو الصُراخ والنُباح ،...ومثل هذا الغليان لأنه زعزعة وتحرك ،ومثله الغثيان ، لأنه تجيّش نفسه وتثور. ومثله الخطران واللمعان ،لأن هذا اضطراب وتحرك ... وقالوا رسم البعير رسيما فجاء على فعيل كما جاء على فُعال ، وكما جاء فعيل في الصوت كما جاء فُعال وذلك نحو الهدير والضجيج "(سيبويه، ١٩٨٨،ج٤ص١٤)

ونظرة فاحصة في هذه الكلمة تدل على أن المصادر تنم أصواتها على معانيها ،أو أنها تصور الحركات التي تصاحب الحدث .

وأما ابن جني (ت ٣٩٥هـ) فقد شمّر عن ساعديه في هذا الجانب فكان باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) في كتابه الخصائص ضالة الطالب ومبتغاه في توضيح العلاقة بين الصوت ودلالته ،وهذا ما يسمى بالدلالة الصوتية غير المطّردة . فيقول: " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتلئب عند عارفيه مأموم . ذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره، من ذلك قولهم : خَضِمَ وقَضِمَ، فالخضم لأكل الرّطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوها من المأكول الرطب ، والقضم للصلب اليابس نحو قَضِمتْ الدابة شعيرها ... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرّطب ،والقاف لصلابتها لليابس ،حَذْوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث "(ابن جني ،د.ت، ج٢ ص١٥٧)

أما الدراسات اللغوية الحديث فقد اعتنت بهذا النوع من الأبحاث ،فيقول اولمان :" وقد تؤدي شدة التأثر بالباعث الصوتي على توليد الكلمات والأصوات إلى ما يكاد يكوّن اعتقادا غامضا في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى "(أولمان ،١٩٧٥، ص٨١)

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل هناك من يرى لقصر الصوت وطوله عند النطق به له أثر في دلالته ، يقول إبراهيم أنيس :" وطول الصوت أما أن يكون طبيعيا فيه ،أو مكتسباً... فأصوات اللين بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة ،على أنه حين قيست أصوات اللين وجد أن الفتحة أطول من الكسرة والضمة ،ويلي أصوات اللين في الطول الطبيعي الأصوات الأنفية :وهي النون والميم ،فهما من أطول الأصوات الساكنة ،ثم الأصوات الجانبية كاللام ، ثم المكررة كالراء ؛ثم الأصوات الرخوة ذات الصفير أو الحفيف . وأقل الأصوات الساكنة طولا هي الأصوات الشديدة أو الانفجارية"
(أنيس، ١٩٥٨، ص٨٦ـ٨٧)

وعند النظر في الفاظ القرآن ودلالتها على معانيها يجد المتتبع توظيفا عجيبا للصوت في إظهار المعنى المراد تارة ،ويحس من تشرب تلاوة القرآن أن ثمت ربطا عميقا بين اللفظ والمعنى بشكل عام يمكن رصده وتتبعه في مواضع بعينها منها ما نحن بصدده من ألفاظ الاضطراب والاهتزاز

ما المقصود بألفاظ الاضطراب والاهتزاز ؟

جاء في مختار الصحاح :الاضطراب : الحركة ،والموج يضطرب : أي يضرب بعضه بعضا ،واضطرب أمره اختل (الرازي ،١٩٨٣ ،ص ٤٧٩)

وقيل: الاضطراب: كثرة الذهاب في الجهات من الضّرب في الأرض ،وعبر به عن الأشياء المختلفة فقيل: حاله مضطرب أي مختلف.(السمين الحلبي،١٩٩٦م، ج٢ص٣٧٤)

وجاء في معجم مقاييس اللغة عن الاهتزاز :" الهاء والزاء أصل يدل على اضطراب في شيء وحركة وهززت القناة فاهتزت واهتز النبات...وهزيز الريح :حركتها وصوتها"(ابن فارس،د.ت، ٩/٦ ،وينظر: الزمخشري ١٩٧٩،ص ٧٠١)

قال السمين الحلبي(ت ٧٥٦هـ) : "الهز: التحريك بشدة ، يقال: هزَه يهزه ، وهز الرمح فاهتز .واستعير ذلك في قولهم : هززتُ فلانا للعطاء أي حركته بما ذكرته له من المكارم والمآثر ، وقوله تعالى : (تهتز كأنها جان)[النمل :١٠] إشارة إلى شدة حركتها واضطرابها ،وأنها فاقت أبناء جنسها في حركتها ونشاطها ،.وقوله تعالى :(اهتزت وربت)[الحج :٥] أي تحركت حركة شديدة تشقها عن نباتها وأزهارها بسبب إنزالها الماء بعد أن كانت على عكس هذه الصفة قبل ذلك"(السمين الحلبي ،١٩٩٦،ج٤ ص٢٥٠،وينظر:الراغب الأصفهاني ، د.ت، ٥٤٢)

وعليه ،فهي : تلك الألفاظ التي تشعرك بحركتها ونشاطها وقوتها المتأتية من جرسها وأثرها الفعال في الوصول إلى الغاية المبتغاة من الكلام من خلال تهيئة النفس وإثارة الخيال ،وقدرتها على محاكاة

معناها مستعينة بمخارج حروفها وصفاتها أو حركاتها مع نوع مقطعها أو من تضعيف أحد حروفها ، أو تكرار مقطع منها ، أو كلها. (شادي،١٩٨٨،ص٢٩ـ٣٠).

وهذا المفهوم يمكن اعتماده اساسا للبحث والمعالجة في الفاظ الاضطراب والاهتزاز في القرآن الكريم؛ وإن لم يرق إلى مستوى الحد الجامع المانع إذ يمكن زيادة تلك الألفاظ عن طريق تتبع دلالاتها ومعاني أصواتها وأقوال العلماء فيها فمثلاً الفعل ماج ونغض يشعر بالاضطراب ، و(نتق) يشعر بالاهتزاز، والفعل (فتق) كذلك لكننا نراه أقل دلالة على الاهتزاز مما اخترناه من ألفاظ ، فالقرآن الكريم ميدان رحب وواسع لدراسة الألفاظ و دلالاتها الصوتية المتنوعة . وهو مشحون بألفاظ ذات دلالة خاصة نسميها بألفاظ الاضطراب و الاهتزاز تشعرك أصواتها بداهة بالحركة والاهتزاز ،فإذا تبينت معانيها اللفظية والسياقية تأكد ذلك المعنى (الانطباعي البدهي) وهو أمر سنثبته عن طريق استعراض طائفة واسعة من أقوال اللغويين والمفسرين في جملة كبيرة من تلك الألفاظ التي سنعالجها في بحثنا هذا وقد تعددت مبانيها فهي تارة مكررة المقطع وتارة مكررة الصوت الواحد وتارة على بناء معين مثل فعلل.

فظهور اللفظ بالصوت هو وسيلة الإنسان في التعبير عن الكلام ،فالصوت هو جوهر اللفظ وبه تتميز مقاطع الكلمة ، قال الجاحظ :" ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت " (الجاحظ،١٩٤٨،ج١ ص ٧٩)

"فهما متلازمان تلازم الرؤية والنظر ،والسمع والهواء، والشم والرائحة ،واللمس والشعور ،فلا تستبين دلالة أحدهما إلا بالآخر، ولا يصح لنا الأول مالم يصح لنا الثاني...لأنهما متلابسان، متكاملان ، يشكلان معا دائرة مفهومية واحدة ،مرتكزها على الأداء وأبعادها المفاهيم"(عبد الله ،٢٠٠٨،ص١٣)

فالباحث هنا يريد بيان أن الصوت هو اللفظ في بعده الحسي(المسموع) ، وإن اللفظ هو الآلية التي تؤدي المعنى عبر اختيار الأصوات وتشكيلها ، ومن هنا لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فهما وإن كانا مفهومين مختلفين إلا أنهما مفهومان متكاملان لا يتم أحدهما إلا بالآخر وهذا ما عبر عنه بالدائرة المفهومية ،ونؤكد هنا أن أساس معالجة هذه القضية هو الدلالة أو المعنى المراد من اللفظ باختيار أصواته وتشكيلها على نحو معين يؤدي المعنى المراد ،وهذا يكون تارة عبر بنية الكلمة وهو ما عالجه علم الصرف لاسيما في موضوع الميزان الصرفي والمشتقات ودلالة الألفاظ إذ تم التركيز على المعاني المتحققة من بنية الكلمة وتوزيع أصواتها الصامتة مع الأصوات الصائتة القصيرة والطويلة (الحركات وحروف العلة) علاوة على أثر حروف الزيادة في بنية الكلمة ومعناها ،وهذا موضوع واسع تكلل بثمار ونتائج كبيرة شكلت مباحث علمي الصرف والاشتقاق، وتارة أخرى عبر

اختيار الأصوات وتوزيعها، وهذا الجانب الآخر من علاقة الصوت بالمعنى أو اللفظ بالدلالة يتمثل في اختيار أصوات بعينها وتكرارها في مقاطع متنوعة لما يزل بحاجة إلى مزيد من البحث لإبراز تلك العلاقة والسعي إلى تقنينها، ولعل القرآن الكريم هو خير ميدان يمكن منه تتبع هذه العلاقة .

وقد قسمت البحث على فقرتين هما :

١- الاهتزاز عبر تكرار صوتين في الكلمة

٢- الاهتزاز في الكلمة ذاتها

أولا : الاضطراب والاهتزاز عبر تكرار صوتين في الكلمة :

أصل التكرار في اللغة هو الرجوع ، والعطف والإعادة ،جاء في اللسان "والكَرُّ: مصدر كرّ عليه يكر كرا وكرورا وتكرارا: عطف، وكرّ عنه: رجعَ ،... وكرَّر الشّيءَ وكركَره: أَعاده مرَّة بعد أُخرى... والكرّ: الرّجُوعُ على الشّيء، ومنهُ التّكرارُ... الجَوهريّ: كرّرتُ الشّيءَ تكريراً وتَكراراً"

(ابن منظور، د.ت، ج٥ ص ١٣٥)

أما في الاصطلاح: فهو تكرار لفظ أو كلمة أكثر من مرة في سياق معين لنكتة ما ونكته كثيرة منها : التوكيد أو لزيادة التنبيه، أو لزيادة التوجع أو التحسر، وللتهويل والاستبعاد، وزيادة المدح، والتلذذ بذكر المكرر، والتعظيم ، والتنويه.(ابن معصوم ،١٩٦٩،ص ٤٣٣ـ٤٣٥)

قال القرطبي (ت ٦٧١هـ):" نزل القرآن بلسان العرب ، و من مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ، لان خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد، كل هذا على سبيل التأكيد "

(القرطبي ،١٩١٤،ج٢٠ ، ٢٦٦)

فهو فن من فنون التعبير البليغة، وسبيل لطيف إلى توكيد المعنى، لأن " الكلام إذا تكرّر تقرّر" (الزركشي،١٩٨٨،ج٢، ١٣)

وهو ليس غريبا على العرب بل هو جزء من بلاغتهم ،لكن القرآن الكريم أجاد توظيفه واستعماله حتى غدا معجزا لهم عن أن يأتوا بآية من مثله .

ونوّع القرآن اسلوبه فيه، فكان فيه تكرار الأداة ،وتكرار الكلمة ،وتكرار الفاصلة ، وتكرار الآية ،فضلا عن تكرار القصة .وكل نوع من هذه الأنواع مقصود لذاته ،ومن ورائه حكمة ربانية ، وأسرار بلاغية ،أذهلت أهل الفصاحة والبيان ،فسلموا لقوله تعالى :(إنا كل شيء خلقناه بقدر)[القمر/٤٩]

ومما جاء في القرآن الكريم تكرار صوتين من الكلمة نفسها، سأتناولها مرتبة على الترتيب الألفبائي وهي :

١- حص حص

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى :(قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ) [يوسف /٥١] الحَصْحَصَةُ: الحركةُ في الشيْء حتى يَسْتَقِرَّ فيه ويَستَمكنَ منه... والحَصْحَصَةُ: بَيان الحق بعد كتمانه. حَصْحَصَ الْحَقُّ، ولا يقال: حُصْحِصَ الحقُّ (الفراهيدي،١٩٨٠،ج١٣ ص١٤٣). وأصله : استئصال الشيء ، يقال منه: حصّ شعره إذا استأصله جزًّا ، وإنما أريد في هذا الموضع (حصحص الحق) ذهب الباطل والكذب فانقطع ، وتبين الحق وظهر"(الطبري ،٢٠٠٠،ج١٢ ص ٢٣٧)

ولعله :التحريك والتقليب للشيء والترديد (الأزهري، ٢٠٠١، ج٣ ص ٢٦٠)

وهومن حصحص الحق أي وضح وذلك بانكشاف ما يقهره ..."(الراغب الأصفهاني ، د.ت ،١٢٠) فلفظة حصحص ذات جرس يحكي أخص ما يقصد منه ، وهو الحركة في الشيء حتى يستقر فيه، ويستمكن منه ... وبيان الحق بعد كتمانه

هذا يعني أنه: ظهر وتبلّج وذلك بانكشاف ما يغمره ،وأصله من قولهم: رجل أحص وامرأة حصاء ، وهوما ذهب شعره فانكشف ما تحته ، وحصت الأرض حصة :ذهب بناؤها فانكشف ما تحته .وحصّه قطعه ، وذلك إما في المباشرة نحو، حصصت ذنب الطائر، وإما بالحكم نحو: حصصت الخبر عنه (السمين الحلبي ، ١٩٩٦،ج١ ص ٤١٩) وجاء في اللسان :" والحصحصة: الحركة في شيء حتى يستقر فيه ويستمكن منه ويثبت، وقيل، تحريك الشيء في الشيء حتى يستمكن ويستقر فيه"(ابن منظور،١٤١٤هـ،ج٧ ص١٥)

فكأن امرأة العزيز ،اضطربت مشاعرها واختلفت فعانت صراعا نفسيا بين كتمان سرها ،أو الاعتراف به وبخطيئتها، وإعلان براءة يوسف(عليه السلام) فتمخض الصراع عن استئصال كذب، وسكينة نفس، واستقرار رأي على إظهار الحق ولو بعد حين، لأن الجو السائد في هذا الجزء من القصة هو الاعتراف بالحقيقة ، من قبل النسوة اللائي راودنه عن نفسه(قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) فاعترفن ببراءته

،فلم يبق أمامها إلا أن تصدح بالحق (أنا راودته عن نفسه وإنه من الصادقين) في قوله :(هي راودتني عن نفسي) وما ذلك إلا لانقطاع طمعها منه، فلا ضير في كشف الماضي الدفين، وبيان

الحقيقة ،ولا طائل من الكذب، فجمع الله تعالى ليوسف في اظهار براءته ونزاهته عما قذف به؛ بين الشهادة والاقرار، حتى لا يبقى موضع شك ،ذلك ليعلم العزيز أنه لم يخنه في غيبته.

أما دلالتها الصوتية وايحائيتها ،فنقصد بها ما توحي به أصوات الكلم ومخارجها وسماتها الصوتية من إيحاءات تشارك في التعبير عن المعنى في سياق من السياقات ، فهي دلالة لا تلوح بها الدلالة المعجمية للكلمة من قريب ولا من بعيد، وإنما تنفرد بها الدلالة الصوتية لهذا الحرف في ذلك النّسق والسياق الدلالي.

فحصحص ؛ متكونة من صوتين هما الحاء والصاد ،
وللحاء همس، ورخاوة وانفتاح وضعف، دلت على التمسك البالغ في الخفيات (العلايلي،١٩٨٥، ص٦٣)، وطول النطق به مساويا للنطق بالصاد فكلاهما مهموس رخو، وللصاد همس ورخاوة واستعلاء وصفير تزداد حدته لتدل على المعالجة الشديدة ، فسبحان الذي قابل بين ضعف الحاء في أول الكلمة واستفالها وانفتاحها، وقوة الصاد في آخرها واستعلائها واطباقها ووافق بينهما ليعطيا صورة متكاملة تحاكي حالة الصراع النفسي من الاضطراب وعدم الاستقرار الذي عاشته امرأة العزيز . والذي تمخض عن براءة يوسف(عليه السلام)، على الرغم من أن كلاهما مهموس رخو، وكأن تضييق المجرى عند النطق بهذين الصوتين ضيق عليها فلم يدع لها مجالا إلا الاعتراف بالذنب فلفظة (حصحص) فريدة، يعسر على البلغاء الاتيان بمثلها في مكانها ، لها منزلة الفريدة من القصيدة ، وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل على عظم فصاحة المتكلم ، وقوة عارضته ،لو أسقطت من الكلام عُري عن الفصاحة (ابن معصوم ،١٩٦٩،ج٥ ص ٢٦٧).
وهكذا أنبأنا الفعل (حصحص) بصيغته المبنية للمعلوم أنه يفيد المبالغة والزيادة في الظهور والبيان ، ولأجله خطأ الخليل (حُصْحِص) مبنيا للمجهول لأنه يتنافى مع الإبانة والكشف (الفراهيدي ،١٩٨٠، ج٣ ص١٣) وقد قُرأ الفعل بالبناء للمجهول ،والقراءة المشهورة أنسب للحال وأبين للمقال (الأندلسي،١٤٢٠هـ، ج٦ ص٢٨٠)

فتضافرت أصواته المكررة ودلالته على صياغته . فخلاصة المعنى المراد: الانتقال من الغموض والخفاء إلى الصراحة والعلن ،وهذا ما تحقق باختيار صوتي الحاء وبعده الصاد ثم تكرارهما في تشكيل لفظي واحد (حص حص). فالتكرار هنا أداة تنغيم كان لها الأثر البالغ في ابراز دلالة الكلمة ويؤكد هذا الجاحظ حين قال:" وأمر الصوت عجيب ،وتصرفه في الوجوه عجب ... وليس يعتريهم

ذلك من قبل المعاني ،لأنهم في كثير من الأحيان لا يفهمون معاني كلامهم ،وقد بكى ماسرجويه من قراءة أبي الخوخ، فقيل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟! قال :إنما أبكاني الشجا"(الجاحظ ،١٩٦٩،ص ١٩١- ١٩٢) يبدو من تعليق الجاحظ أنه لم يتبين السبب الدقيق لذلك الانطباع والأثر النفسي للقرآن وان كان أرجعه اجمالا إلى الصوت وتصرفه العجيب غير أن التراكم المعرفي يوقفنا اليوم على جملة عوامل في تأثير الصوت منها ما يرجع إلى اختيار أصوات معينة ذات صفات ومخارج أنسب من غيرها لهذا المعنى أو ذاك أو تكرار صوت أو مقطع بتلك الصفة مما يحدث أثرا في السامع بمعزل عن معاني الكلمات ،لكنه قد يعضد المعنى المتعارف للمفردة أو يزيد عليه وهو ما نبحث فيه في بحثنا هذا.

٢- دم دم

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى : ((فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا))[الشمس/١٤] لفظ دمدم يصور دلالته بجرسه ويوحي بما وراءه ، ،كأنه يرسم مشهدا مروّعا مخيفا ، أي أهلكهم، قال: دمدم أرجف، ... ودمدم عليه: كلمه مغضبا؛ قال: وتكون الدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل، إلا أن أكثر المفسرين قالوا في دمدم عليهم أي أرجف الأرض بهم؛ (ابن منظور ،١٤١٤هـ،ج١٢ ص٢٠٨) فهو يعبر عن: الهلاك المتأصل (الفراهيدي، ١٩٨٠، ج٨ ص ١٥)؛ والاستئصال (الأزهري ،٢٠٠١،ج١ ص ١٤٢)، فهي من قولك : دَمْدَمْتُ على الشيء، أي أطبقتُ عليه، وكذلك دَمْدَمْتُ عليه القبر وما أشبهه، لذلك يقال: ناقة مدمومة، أي قد أُلبسها الشحم، فاذا كررت الاطباق: دمدمت عليه (الأزهري ،٢٠٠١،ج١٤ ص١٨)، ودمدمت الشيء، إذا لزقته بالأرض و طحطحته، ودمدم الله سبحانه عليهم ، أي أهلكهم، وقيل الدمدمة :حكاية صوت الهِدة (الراغب الأصفهاني، د.ت،١٧١)، فدمدم عليهم غَضِب ، ومنه :دَمْدَم الجيش العدو: طحنهم وأهلكهم مستأصلا، ويقال عتاد دمدم الذي ينفجر في داخل الهدف فيُدمره ويُهلكه (خطاب، د.ت، ج١ ٢٤٩) فهي إذن لها ثلاث دلالات، وهي: أطبق عليهم ، وغَضِب عليهم ،وأهلكهم ودمرهم فارجف بهم الأرض، وكلها تنصب في معرض بيان انتقام الله تعالى من قوم ثمود لعقرهم الناقة ،وتكذيبهم النبي صالح (عليه السلام) واستهانتهم به ،واستخفافهم بما بعث به ، فارجف بهم الأرض ،حرّكها فسواها عليهم ،عقوبة لهم ،فأطبق عليهم بالعذاب جميعا صغيرهم وكبيرهم ولم يفلت منهم أحد، وهذا ما عبر عنهم الإمام علي (عليه السلام)في نهج البلاغة :" إنما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمُّوه بالرضى"(الشريف الرضي، ١٤١٦ق، ص ١٤٣).

والدمدمة الهلاك الجماعي الذي لا يبقي ولا يذر سواء أكان بصوت الصاعقة أو الرجفة (فأخذتهم الصيحة) أو باضطراب الأرض عليهم ، لأنهم تعاونوا جميعا على ارتكاب الذنب ،فإذا كان واحد منهم هو من عقر الناقة ،فإن الآخرين قاموا بالإعداد والتأييد والسكوت الذي يوحي بالرضى، الأمر الذي جعل التبعية الاجتماعية مشتركة بينهم لأنهم أعطوا الجريمة قوّتها وفاعليتها من خلال هذا الشمول في الموقف العملي المتحرك، والآية تؤكد ذلك حين نسبت العقر لهم جميعا فضلا عن شمولهم بالعذاب جميعا

فالدمدمة :ترديد الحال المتكرّهة ، وهي مضاعفة ما فيه المشقة (الطوسي، ١٩٥٧،ج١٠،٣٦٠) ودَمْدم مكرر(دمّم) للمبالغة مثل كبكب ،وعليه فوزن دَمْدَم (فَعْلَل) (ابن عاشور،١٩٨٤، ج٣٠ ٣٧٥) وهذا يدل على التكرر، وتحقيق الفعل وجريانه بدفعات وذلك بسبب التضاعف في اللفظ (المصطفوي، ١٣٩٣هـ ،ج٣ ص ٢٦٣)

أما دلالتها الصوتية والإيحائية : فهي مكونة من صوتين مكررين هما الدال والميم ،فصوت الدال فيه جهر وشدة وقلقلة فدل على التصلب والتغيّر المتوزع، وصوت الميم فيه :جهر ،وانفتاح ، وغنة، دلّ على الانجماع (العلايلي،١٩٨٥، ص ٦٣)، فكأن انحباس جريان النفس عند النطق بهذين الصوتين حاكى انحباس انفاسهم من هول ما رأوا من العذاب الصلب الشديد الذي توزع عليهم جميعا فاضطربت الأرض تحت اقدامهم . كما أن تباعد مخارج الأصوات فمخرج الدال ، من ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا، ومخرج الميم ما بين الشفتين.

دل على شمولهم وتزلزلهم، فلم يفلت منهم أحدا. كما أن طول النطق بالصوت أثر في دلالته فصوت الدال مجهور شديد وهو أقصر الأصوات طولا ليناسب بداية انفجار الغضب الرباني وهوله، ثم يأتي صوت الميم المجهور الأنفي ؛ وهو أطول من صوت الدال في النطق ليناسب الإطباق التام على الكافرين وتدميرهم تدميرا شاملا ،فكأن طول النطق به امتد ليشمل كل من في القرية فلا يدع منهم أحدا.

٣- ذَبْ ذب

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى:((مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا))[النساء /١٤٣]

الذَبْذَبَة : تردد شيء في الهواء معلق ،ورجل مُذَبْذَب ومتذبذب ،أي متردد بين أمرين وبين رجلين لا يثبت على صحابته لأحد (الفراهيدي، ١٩٨٠،ج٨ ، ١٧٨، وينظر، ابن فارس، د.ت ،ج٢ ، ٣٤٨)، وذَبْذَبَ الرجل، إذا منع الجِوار والأهل وحماهم، وذَبْذَبَ أيضا إذا آذى (الأزهري،٢٠٠١،ج١٤،٤٥١)،

والذبذبة: هي الاضطراب والتحرك، والمذبذب :المضطرب الذي لا يبقى على حالة مستقيمة ، يقال :تذبذب الشيء إذا اضطرب ، والذبذبة: تحريك الشيء المعلق ، وقلة الاستقرار، وفلاة مُذَبْذَبة: بعيدة، وقيل: هي التي لا تستقيم وجهة من يسير فيها (ابن عباد ، د.ت، ج١٠ ،٦٤)، والذبذبة : حكاية صوت الحركة للشيء المعلق ،ثم استعير لكل اضطراب وحركة(الراغب الأصفهاني ،د.ت، ،١٧٧) والتذبذب :الاضطراب بخجل أو خوف أو إسراع في مشي ونحوه(ابن عطية ،١٤٢٢هـ ،ج٢ ،١٢٧)

فلما كان التذبذب، هو: الاضطراب ، والتحرك ، وعدم الاستقرار والاستقامة ، استعملها الله تعالى في وصف المنافقين ، فهم متحيرون في دينهم لا يرجعون إلى صحة فيه ، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة ، ولا مع الكافرين على جهالة، بل بين الاثنين يظهرون الإيمان فيجري عليهم حكم أهله، ويبطنون الكفر فيستحقون به عقاب أهله ،فهم مطرودون من الطرفين، لأنهم لا يخلصون في الانتساب إلى واحد منهما ،لأنهم يطلبون المنفعة ولا يدركون لمن تكون العاقبة ، فهم يميلون إلى اليمين تارة ،وإلى الشمال تارة أخرى ، فمتى غلب أحد الطرفين انتسبوا إليه .فهم يفتقرون إلى وضوح الهدف أو طريق الحياة ،لأن "موقف الذبذبة والأرجحة والاهتزاز ،وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين : الصف المؤمن أو الصف الكافر ،موقف لا يثير إلا الاحتقار والاشمئزاز ،كذلك في نفوس المؤمنين ، كما أنه يوحي بضعف المنافقين الذاتي ،هذا الضعف الذي يجعلهم غير قادرين على اتخاذ موقف حاسم هنا أو هناك ،ولا على المصارحة برأي وعقيدة وموقف مع هؤلاء أو هؤلاء"(سيد قطب، ١٤١٢هـ ، ج٢ ص٧٨٤) فـ " أخس الخلق من يدع صدار العبودية ،ولم يجد سبيلا إلى حقيقة الحرية ،فلا له من العزّ شظية ،ولا في الغفلة عيشة هنيّة "(القشيري، د.ت، ج٢ ص٧٢) ،ويبدو من قوله تعالى (مذبذبين) ان الذبذبة صارت لهم صفة ذاتية ،وسلوك من غير إرادة وتصنع ؛بل هو ناتج عن استمكان التردد والمرض في نفوسهم حتى صار سلوكهم انعكاسا لحالة اضطراب نفسي مرضي فلم يعودوا متذبذبين بل صاروا مذبذبين وتناوب صوتي الذال والباء يشعر بهذا التبدل المستمر في الحركة والموقف وهي صفة المنافقين الذين لا يستقيمون على طريق الحق المستقيم.

أما دلالتها الصوتية والايحائية ،فهي متكونة من صوتين مكررين ،هما: الذال والباء ، فصوت الذال فيه :جهر ،ورخاوة ،وانفتاح وضعف ،وصوت الباء فيه : جهر، وشدة، وانفتاح، وقلقلة ،وقوة ،فتذبذب صفات أصواته يحاكي تذبذب حال المنافقين ،فالجهر في أصواته مذبذب بين رخاوة الذال ،وشدة الباء، ولو أدخلنا الميم لرأيناها تتوسط بين الشدة والرخاوة ،وهذا دأب المنافقين وديدنهم ،فتارة يتراخون ،وأخرى يشتدون ،وثالثة يتوسطون ، ولم يقتصر الأمر على صفات أصوات الكلمة ،بل أن مخارجها المتطرفة تنبيك عن تطرفهم وتفصح عن تلونهم ،وعدم استقرارهم (مذبذبين)،فمخرج الذال من ظهر

اللسان مع رؤوس الثنايا العليا ،ومخرج الباء ما بين الشفتين ويتفق مخرج الميم مع الباء ،ومخرج الياء من الجوف ،والنون من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا .

وقرأ ابن عباس : (مُذَبْذِبين) بكسر الذال الثانية ،بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم .أو بمعنى يتذبذبون كما جاء في صَلْصَل وتصَلْصَل بمعنى (الزمخشري،١٤٠٧هـ،ج١ ص ٥٧٤) وهذه القراءة تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الذبذبة انحراف سلوكي عن مسار الحق المستقيم وإن كان الأمر هنا قد استند إلى اختيارهم ،وهناك استند إلى تحول نفسي مرضي فكأنه شبيه بالوسواس القهري ولكن على مستوى السلوك ،والمحصلة ان اختيار هذين الصوتين وتكرارهما قد نجح في بيان تلك الحالة .

٤- رف رف

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى:((مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ)) [الرحمن /٧٦] فرف رف، لفظ صور دلالته بجرس أصواته ليرسم صورة نعيم لم تخطر على بال أحد ،لأن الرفرف: شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به ،وأهوى به، كالمِرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا ،يتلذذ به مع أنيسته (القرطبي،١٩١٤م، ج١٧ ص١٩١).

أصله من الرفرفة :تحريك الطائر جناحه في الهواء، وهو لا يبرح مكانه... والرّفرف :كِسر الخباء ونحوه ،وهو ايضا خِرقة تخاط في أسفل السّرادق والفسطاط ونحوه.، والرّفرف :ضرب من الثياب خُضْر تبسط ،وهي : جماعة من الضأن ...وجماعة من الناس ،ويقال للنبات الذي يهتز خَضرَةً وتلالؤا رفيف ،من قولك: رف الشيء رفيفا إذا برق لونه وتلالأ، ومنه قول الأعشى: بالشام ذات الرفيف :أراد البساتين التي ترف بنظارتها واهتزازها (الفراهيدي،١٩٨٠،ج٨،٢٥٥، وينظر: الأزهري، ٢٠٠١، ج١٥ ص ١٧٠- ١٧٢)، ويقال للشيء: إذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة حتى كاد يهتز رف يرف رفيفا (القرطبي ،١٩١٤م، ج١٧ ص ١٩١)

الكلمة جاءت في القسم الثالث من سورة الرحمن ،والذي فيه بيان نعيم أصحاب اليمين في الجنة ،فقيل في تفسيرها :المجالس يتكئون على فضولها ،والبسط ،ورياض الجنة ، والفرش المرتفعة .

والطف ما قيل في الرفرف :إنه خادم من الخدم بين يدي الله تعالى ،له خواص الأمور في محل الدنو والقرب، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء (عليهم السلام) مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذي سخّره الله تعالى لأهل الجنتين الدانيتين هو متكأهما وفرشهما، يرفرف بالولي على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان . (القرطبي ،١٩١٤م، ج١٧ ، ١٩١)

فياله من نعيم استحقه من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى، فيهتز من وافر النعمة عليه ، والثواب الممنوح له .

أما دلالتها الصوتية والإيحائية ،فهي متكونة من تكرار صوتين ،هما : الراء، والفاء ، فصوت الراء فيه جهر، وتكرار، وانفتاح ، وقوة ، دل على الملكة ، كما دل على شيوع الوصف (العلايلي،١٩٨٥،٦٣) وأما الفاء ففيه همس ورخاوة ، وضعف ، فهو يدل على لازم المعنى ،أي يدل على المعنى الكنائي ،فانحباس جريان النفس عند النطق بالراء يصور بداية انطلاق الرفرف في الهواء، فكأن انفاس المؤمن تنحبس عند انطلاقه من عظيم جمال المفاجأة ، ناسبه التضعيف في جسم الراء لارتعاد طرف اللسان بها، ويعود له جريان النفس عند نطقه بالفاء بعد أن خبر وعرف ما هو فيه من النعيم . فلا الطف من استعمال هذه اللفظ الرقيق لبيان أبلغ صور النعيم ، واستجلاب قلوب المؤمنين للعمل على تحصيله.

وقد قرأ بعضهم رفارف ، قال الفراء : " وحدثني معاذ بن مسلم بن أبي سادة ، قال: كان جارك زهير القرقبي يقرأ : "متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان "

قال : الرفارف قد يكون صوابا وأما العباقري فلا، لأن ألف الجماع لا يكون بعدها أربعة أحرف ولا ثلاثة صحاح " (الفراء ،د.ت، ج٣ ص١٢٠)

٥- زُحْ زِح

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم مرتين في قوليه تعالى: ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[البقرة/٩٦] ،والثانية في قوله تعالى: ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ))[آل عمران/١٨٥]

الزَّح :جذب الشيء في العجلة زَحّه يزحه زحا ، والزحزحة : التنحية عن الشيء ،يقال زَحْزَحْتُه فتَزَحْزَح (الفراهيدي، ١٩٨٠،ج٣ ص١٨)،وزَحَه يَزُحَه زَحا إذا نحاه عن موضعه ، وقد الحقوه بالرباعي زَحْزَحَه(ابن دريد ،١٩٨٧،ج١،٥٩) ،جاءفي مقاييس اللغة " الزاء والحاء يدل على البُعد ،يقال :زُحْزِح عن كذا ،أي بُوعد "(ابن فارس،د.ت،ج٣ ص٧) ،وقال بعضهم: هذا مكرر من باب المعتل وأصله من زاح يُزيح ، إذا تأخر ....، وقيل: مأخوذ من الزوح ، وهو السوق الشديد (الأزهري، ٢٠٠١، ج٣،٤١٥)

فدلالتها، هي : الجذب في عجلة ، والتنحي ، والبعد ، والسوق الشديد .

وظّفت في سياق وصف مشهد من مشاهد الحساب في يوم القيامة، فأضفت عليه صورة حية تتنازع فيها الحسنات والسيئات بين شد وجذب ،لتنتصر الحسنات فتبعد صاحبها عن النار بمشقة تحاكي مشقة جهاد النفس الأمارة بالسوء ، لتصل به إلى صلاح الباطن والظاهر الذي هو المبعد عن النار والمنجي منها ،لا طول العمر، وهذاما صرحت به الآية الاولى(لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ).

صورة رائعة وقوية، حققتها صيغتها المبنية للمجهول (زُحْزِح) فضلا عن التضعيف والتكرير الذي يدل على التدرج في السلامة من النار.

فالزحزحة إذن : هي تكرار للزح وهو :الجذب بعجلة وهذا فيه تنبيه لكل إنسان حي في الدنيا كأنه في النار ،وما ذلك إلا لكثرة آفاتها، وشدة بلياتها ،ولهذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم):" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر "(مسلم،١٩٩٢،ج٣ص٢٢٧٢)

أما دلالتها الصوتية والإيحائية ،فهي متكونة من تكرار صوتين ،هما: الزاي والحاء ، فصوت الزاي فيه: جهر، ورخاوة ، واستفال، وانفتاح ، وصفير، ليدل على التقلّع القوي ،وصوت الحاء فيه :همس ورخاوة، واستفال، وانفتاح وضعف ليدل على التمسك البالغ وبالأخص في الخفيات (العلايلي ،١٩٨٥، ٦٣)

فكأن حدة صوت الزاي ، وانحباس جريان النفس عند النطق به ، ناسب الجذب في العجلة والتنحي عن الشيء، والسوق الشديد وناسبه قصر مدة النطق به ، ليأتي صوت الحاء مع ما فيه من همس ، وانفتاح ،وجريان النفس عند النطق به ليناسب التباعد عن النار، وشعور الارتياح عند الخلاص من هول عظيم ،وناسبه أن مدة النطق به أطول بقليل من الزاي

كما أن ضم الميم، وسكون الحاء ،وكسر الزاي الثانية ،وفتح الحاء الثانية ،تعكس حالة الصراع بين الفوز بالجنة أو الخلود إلى النار. ومن جميل التعبير القرآني أن يتبع هذه الحالة حالة أخرى عبر عنها القرآن الكريم بعبارة فقد فاز، فالفاء فيها ابتعاد والقاف فيها انقطاع وصولا الى حالة جديدة عبر عنها الفعل فاز بفائه والف المد المشعرة بالذهاب الى حالة جديدة يكملها صوت الزاي الدال على التقلع القوي فالتعبير بمجمله مشعر بانتقال كبير من مكان إلى آخر مع شدة معاناة ولا غرو فالجنة بعد النار نقلة عظيمة .

٦. زل زل

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ست مرات في أربع آيات ،في قوله تعالى: ((مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)) [البقرة /٢١٤]

وقوله تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم))[الحج /١]،وقوله تعالى : ((هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا))[الأحزاب/١١] وقوله تعالى:((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَها))[الزلزلة/١]

الزَّلْزَلة: تحريك الشيء، والزِّلزال أيضا، والزلزال:كلمة مشتقة ،جعلت أسما للزلزلة، والزلازل، البلايا (الفراهيدي ،١٩٨٠،ج٧، ٣٤٨)، والزِلزال بالكسر: المصدر، والزَّلزال بالفتح :الاسم، والزلزلة التخويف والتحذير، والزلازل : الأهوال (الأزهري، ٢٠٠١،ج١٣ ص١٦٥)،،وزل الشيء عن الشيء إذا دحض عنه ...والزلزلة :الاضطراب، أخذت من زُلزلت الأرضُ زِلزالا، زلازل الدهر:شدائده (ابن دريد ،١٩٨٧،ج١ ص١٤٩)

في آيتي البقرة والأحزاب ،استعمل القرآن الكريم لفظة (الزلزلة ،وزلزلوا)استعمالا مجازيا شبّه فيه شدة انزعاج المؤمنين وذعرهم واضطرابهم يوم الخندق، حين فاقهم عدوهم عددا وعدة ،بالزلزلة التي تهد الأرض وتدك الجبال ،وهذا ابتلاء لهم من الله تعالى عظيم ،ليمحصهم وليكشف لهم عن كوامن أنفسهم على حقيقتها ،فهي لا تظهر إلا عند الشدائد والمحن ،لذلك عايشوا الزلزال النفسي الذي فقدوا معه الاستقرار، والأمن فصاروا يائسين وظنوا أنهم أحيط بهم فاستعجلوا النصر من هول الصدمة ،فتنوع اضطرابهم ؛ فمنهم من اضطرب في نفسه ،ومنهم من اضطرب في دينه ،ومنهم من ثبت وصبر حتى جاء نصر الله تعالى.

أما في آيتي الحج والزلزلة فاستعملت اللفظة استعمالا حقيقيا ،تصف تحرك الأرض حركة عنيفة، تمر مرًا سريعا ومرعبا ينشأ عنها سقوط الأبنية ،كما ينشأ خسف الأشياء في باطن الأرض ،فهي دعوة عن طريق الإنذار إلى العقلاء والمكلفين من الناس كافة ؛ ،بتقوى الله تعالى ، واتقاء عذابه ، والخشية من معصيته .

واختلف المفسرون في وقت الزلزلة التي وصفها الله تعالى بالشيء العظيم ،فقال بعضهم :هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة ،وأن يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها ،وقيل: إنها الزلزلة التي تكون مع الساعة (الفراء ،د.ت ، ج٣ ،٤٠٩) وهي من اشراطها.

مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج تكاد العين تبصره لحظة التلاوة، بينما الخيال يتملاه، والهول الشاخص يُذهله ،فلا يكاد يبلغ أقصاه ،وهو هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة ولكن يقاس بوقعه في النفوس الآدمية :في المرضعات الذاهلات عما أرضعن ،وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي فمه ثديها إلا للهول الذي لا يدع بقية من وعي ،والحوامل الملقيات حملهن ،وبالناس سُكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد إنه مطلع عنيف مرهوب تتزلزل له القلوب (سيد قطب، ١٤١٢هـ، ج٤ ص٤٠٨)

أما دلالتها الصوتية والإيحائية ،فهي متكونة من تكرار صوتين ،هما : الزاي واللام، فصوت الزاي ،فيه: جهر، ورخاوة ،واستفال، وانفتاح ،وصفير ،ليدل على التقلّع القوي ،واللام فيه جهر، واستفال وانفتاح وتوسط ليدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه

فكأن شدة صوت الزاي ناسب شدة الزلزلة والانزعاج منها ،سواء اكانت في مشهدها الحقيقي أم الاستعاري ،ليأتي صوت الام مع ما فيه من الانحراف وهو الخروج من صفة إلى صفة ،واعتدال الصوت عند النطق به لعدم كمال انحباسه وكمال جريانه ليناسب حالة التسليم لأمر كان مفعولا، ناسبه طول مدة النطق به، ففيها خطاب وجه لمن لا يؤمن بالبعث والمعاد ليكون وعيدا وتهديدا له ،ولمن يؤمن بالبعث إنذارا وتحذيرا ،لأن :زل للحركة المعتادة ،و زلزل : للحركة الشديدة العظيمة ،لما فيه من معنى التكرير ،ولأجل شدة هذه الحركة وصفها الله تعالى بالعظم في سورة الحج الآية ١((إن زلزلة الساعة شيء عظيم)) حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافا وتزلزل زلزالا وتنفض ما في جوفها نفضا ،وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلا فكأنها تتخفف من هذه الاثقال التي حملتها طويلا وهو مشهد يهز . تحت أقدام المستمعين لهذه السورة . كل شيء ثابت، ويخيل إليهم أنهم يترنحون ويتأرجحون والأرض من تحتهم تهتز وتمور مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به في هذه الأرض، وتحسبه ثابتا باقيا ،وهو الايحاء الأول لمثل هذه المشاهد التي يصورها القرآن ويودع فيها حركة تكاد تنتقل إلى اعصاب السامع بمجرد سماع العبارة القرآنية الفريدة ، ويزيد هذا الأمر وضوحا بتصوير "الإنسان" حيال المشهد المعروض ،ورسم انفعالاته ، وهو يشهده (وقال الإنسان ما لها)((سيد قطب، ١٤١٢هـ، ج٦ ص٩٥٤)، وهذا المشهد يذكرنا بمشهد الذبذبة الذي مر بنا سابقا غير أن الحركة هنا أشد وأظهر، فلا يمكن إخفاء حالة الاضطراب ، وحركة الانتزاع الشديدة ،فالحالة هنا لا تحتاج إلى تأمل ونظر في السلوك لنعرف الاضطراب والقلق والتردد ،ولا مجال هنا للتصنع والانكار، فقد انتقل الفعل من الباطن إلى الظاهر ومن الخفاء إلى العلن.

٧. صرصر

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ثلاث مرات، في ثلاث آيات في قوله تعالى:(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)[الحاقة /٦] وقوله تعالى:(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)[فصلت/١٦]،وفي قوله تعالى :(إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مستمر)[القمر/١٩]

جاء في معجم مقاييس اللغة :الصاد والراء أصول :... وأما الثالث :فالبرد والحر ،وهو الصر .يقال أصاب النبت صِرٌ، إذا أصابه برد يضر به ، والصُر: صر الريح الباردة . وربما جعلوا في هذا الموضع الحر . قال قوم الصّارة شدة الحر حر الشمس ...وأما الرابع فالصوت :من ذلك الصرة :شدة الصياح، صر الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صرصرة، والصراري الملاح ،ويمكن أن يكون لرفعه صوته(ابن فارس، د.ت، ج٣ ،٢٨٤) ومنه الاصرار: وهو التعقد في الذنب والتشدد فيه والامتناع من الاقلاع عنه ،وأصله من الصر أي الشد، وإنما كرر اللفظ دلالة على تكرار المعنى كما قالوا: صَلْصَل في صل :وقيل :أصل ذلك من الصر وهو العقد المحكم ،وقيل:الصرة :الضجة و الصيحة، والريح الصرصر :شديدة الصوت (ينظر:الحموز،٢٠٠٦،ص١١٨ ـ١١٩)

وقيل في تفسيرها :إنها باردة تصطك الاسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها ،وقيل الصرصر: الشديدة العصوف المتجاوزة لحدها المعروف لذلك وصفت بالعاتية أي عتت على خزائنها في شدة الهبوب ،وقيل :ما يخرج من الريح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها وكيلها حتى كانت التي أرسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدر غضب الله تعالى ،فكانت ريح متتابعة ليس لها فترة تتابع عليهم الشر حتى استأصلهم وقطعتهم قطعا .

واما الريح في فصلت ،فقيل فيها ريحا عاصفة شديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة ،وقيل الباردة من الصر وهو البرد ،والباردة تحرق كما تحرق النار، وقيل :شديدة السموم ،فهي جولة في مصارع الغابرين ،جولة تهز القلوب المستكبرة برؤية مصارع المستكبرين، إنها العاصفة الهوجاء المجتاحة الباردة في أيام نحس عليهم ،وانه الخزي في الحياة الدنيا ،الخزي اللاحق بالمستكبرين المتباهين المختالين على العباد، وليسوا بمتروكين في الآخرة ،والريح في القمر هي الريح الصرصر: شديدة الهبوب و الباردة العنيفة. وجرس اللفظ يصور نوع الريح. والنحس: الشؤم. وأي نحس يصيب قوما أشد مما أصاب عاد. والريح تنزعهم وتجذبهم وتحطمهم. فتدعهم كأنهم أعجاز نخل مهشمة مقلوعة من قعورها؟! والمشهد مفزع مخيف، وعاصف عنيف. يعبر عما فيه من مكابدة المخاوف والشدائد المرعبة من صراخ واصطكاك أسنان وأعضاء ولجلجة لسان متردد، وهذه حركات انفعالية

يعبر بها الجسد عفويا عن مخاوفه تجاه ما يهدد وجوده وأمنه ، والريح التي أرسلت على عاد هي من جند الله وهي قوة من قوى هذا الكون، من خلق الله، تسير وفق الناموس الكوني الذي اختاره وهو يسلطها على من يشاء، بينما هي ماضية في طريقها مع ذلك الناموس، بلا تعارض بين خط سيرها الكوني، وأدائها لما تؤمر به وفق مشيئة الله، صاحب الأمر وصاحب الناموس. فاستمر بهم العذاب والنحس في الدنيا حتى اتصل بالعقبى وفي ذلك إنذار لكفار مكة (الطبرسي،١٣٣٩ش،ج٩،١٨٩ـ١٩٠)

أما دلالتها الصوتية والإيحائية ،فهي متكونة من تكرار صوتين :هما الصاد والراء: فالصاد، فيه استعلاء واطباق وصفير وقوة ليدل على المعالجة الشديدة (العلايلي،١٩٨٥،ص ٦٣)سواء أكانت بالصوت الشديد أم بالبرودة الشديدة أو الحر الشديد السموم ،والراء فيه انفتاح وتكرير وقوة ليدل على شيوع الوصف ،فكأن صفة الاستعلاء والاطباق والصفير في الصاد ناسبت هبوب الريح الشديدة العاتية والباردة والمدمرة لكل شيء ،ليأتي صوت الراء مع ما فيه من انفتاح يتجافى به كل من طائفتي اللسان والحنك الأعلى عن الأخرى حتى يخرج النفس ومن تكرير يؤدي إلى الارتعاد والتضعيف ليناسب شمول كل المذنبين وشيوع العذاب بهم واقتلاعهم من جذورهم حتى لم تبق لهم باقية ،فيالها من لفظة دقيقة استوعبت بصوتيها وتكرارهما تصوير المشهد المرعب والمخيف لذلك العذاب المهول والشامل .والخلاصة أن صوت الصاد يشعر بالقبض والعصر، وصوت الراء يشعر بالبسط والنشر وتتابعهما وتكرارهما يدل على تكرار هذه الحالة حالة العصر ثم النشر ثم العصر ثم النشر وهو ما يؤدي إلى تحطيم وبعثرة لكل ما تطاله هذه الحركة وقد نسبت في المواضع الثلاثة جميعا إلى ريح مخصوصة سخرها خالقها لإحداث هذه العقوبة بمن يستحقها تحطيما لبنيانهم وانفسهم وغرورهم ،فلم تغادرهم إلا وقد نقضتهم نقضا وبعثرتهم اشتاتا.

٨ـ كُبْ كِبُ

وردت هذ اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الشعراء الآية ٩٤ ،في قوله تعالى: ((فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ))

الكب :اسقاط الشيء على وجهه، والكبكبة :تكرير الكب وهو تدهور الشيء في هوة حتى يستقر فكأنه تردد في الكب ، ويقال كب وكبكب نحو كف وكفكف وصر الريح وصرصر (ينظر :ابن فارس، د.ت، ج٥ص١٢٤، والراغب ،د.ت ،ص٤٢٠، والسمين الحلبي ،١٩٩٦،ج٣ص٣٦٣)

صورت الآيات السابقات لهذه الآية كيف قربت الجنة وعرضت للمتقين، ليدخلوها وهم من عذاب ربهم مشفقين. وكيف اظهرت الجحيم وأبرزت للغاوين، وكشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق والصواب وكذبوا بيوم الدين، وإنهم لعلى مشهد من الجحيم يقفون. حيث يسمعون التقريع

والتأنيب، قبل أن يكبكبوا في الجحيم.. إنهم يسألون عما كانوا يعبدون من دون الله– وذلك تساوق مع قصة إبراهيم وقومه وما كان بينه وبينهم من حوار عما كانوا يعبدون– إنهم ليسألون اليوم:(أين ما كنتم تعبدون من دون الله؟) أين هم (هل ينصرونكم أو ينتصرون؟) ثم لا يسمع منهم جواب، ولا ينتظر منهم جواب. وإنما وبخوا بلفظ الاستفهام لأنهم لا جواب لهم عن السؤال إلا بما فيه فضيحتهم لذلك نكسوا فيها على رؤوسهم

إنما هو سؤال لمجرد التقريع والتأنيب (فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَالْغاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) . كبكبوا.. وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف. فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه. وإنهم لغاوون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوين هم (وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ) . والجميع جنود إبليس. فهو تعميم شامل بعد تخصيص أي أنه يريد من اتبعه من ولده وولد آدم

(سيد قطب،١٤١٢هـ،ج٥ص٢٦٠٥)

فلفظة (كبكبوا) انمازت بسمت جرسها الذي اكتسبته من مخارج صفاتها وحروفها ،فصوت الكاف بما فيه من همس وشدة واستفال ليدل على الشيء الذي ينتج عن الشيء باحتكاك لأن الكاف صوت يخرج من أقصى الحنك فيحتاج نطقه إلى إغلاق مجرى النفس تماما لينفجر به الهواء دفعة واحدة لذلك وصفه القدماء من جهة المخرج صوتا شديدا وهو عند المحدثين انفجاري ،وتكراره يشير إلى هذه الشدة والحدة في السقوط ،ويأتي الباء بما يحويه من جهر وشدة واغلاق وقلقة ليدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغا تاما ،هذا فضلا عن قدرتها على حكاية معناها الذي اكتسبته من تكرير المقطع ،فكل زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى ،لذلك استعمل القرآن الكريم في هذا المقام لفظة (كبكبوا)ولم يستعمل (كبوا) ليشير اللفظ بكل ملكته إلى أن الكفار تعددت أصنافهم فمنهم الغاوون، والذين أضلوهم، وجند إبليس من ولده وولد بني آدم جميعا يكبون على وجوههم في جهنم كبا عنيفا غليظا وتنكس رؤوسهم مصحوبا بحركة تدافع واضطراب يتداخل بعضهم في بعض من شدة الدفع والكب ،جزاء عتوهم وكفرهم ،فسبحان الذي خلق كل شيء بقدر.

ثانيا: الاضطراب والاهتزاز في الكلمة ذاتها[١]

١- الأز

وردت هذه اللفظة مرتين في القرآن الكريم في سورة مريم الآية ٨٣ في قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا))

قال أبو عبيدة :الأزيز: الالتهاب والحركة كالتهاب النار في الحطب ،يقال :أز قدرك ،أي الهب النار تحتها ،و ائتزت القدر :إذا اشتد غليانها ،وقال الأصمعي : أززت الشيء أؤزه أزّا، إذا ضممت بعضه إلى بعض ،وقال ابن الأعرابي :الأز :الحركة

والأزة :الصوت ، ، والأزز: الجمع الكثير من الناس(الأزهري،٢٠٠١،ج١٣ص٢٨٠ـ٢٨١)

وقيل :الأزّ: الإيقاد والإغراء ،وقال ابن فارس :الهمزة والزاء يدل على التحرك والتحريك والإزعاج (ابن فارس،د.ت،ج١ص١٣)

والأزز :الضيق ، ،والأزيز :صوت الرعد من بعيد أزت السحابة تئز أزا وأزيزا والأزز: الامتلاء يريد امتلاء المجلس ،والأز :الإغراء والتهيج (ابن سيده،٢٠٠٠،ج٩ص٦٩) وقال الطوسي :والأز : الإزعاج إلى الأمر أزه أزّا وازيزا :إذا هزه بالإزعاج إلى أمر من الأمور(الطوسي،١٩٥٧،ج٧ص١٤٩)

وقيل : أزه كشدّه ،يؤزّ أزا :هيجه ودفعه بشدة ،والأز والهز والاستفزاز : معناها التهيج وشدة الإزعاج ،وأصل الأز :الهز الشديد الإزعاج (إسماعيل ،د.ت،ص٣٧)

وأرى أن الأصل واحد في هذه المادة وهو الهز والتحريك بقصد الاحتيال ومنه اشتداد الغليان الملازم للحركة والصوت والجمع من الناس هو تحريك مادي ملموس ،واما الاغراء والتهيج والازعاج فهو تحريك معنوي .

وفسرها المفسرون بدلالات شتى منها :تغريهم أغراء ،وقيل: تُشليهم إشلاءً على معاصي الله تبارك وتعالى ،وتُغريهم عليها ، كما يُغري الإنسان الآخر على الشيء ،يقال منه أززت فلانا بكذا ،إذا أغريته به ...وسمعت أزيز القدر :وهو صوت غليانها على النار(الطبري،٢٠٠٠،ج١٦ص١٢٥)،وقيل: تزعجهم إزعاجا من الطاعة إلى المعصية ،وتغريهم إغراءً بالشر ،إمض إمض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار، وتشيلهم لإشلاء(القرطبي ،١٩١٤،ج١١ص١٥)،وجاء في المفردات: أي ترجعهم إرجاع القدر إذا أزّت ،أي اشتد غليانها، وأزّه أبلغ من هزّه (الراغب الأصفهاني ،د.ت ،ص١٦)

هذه الآية المباركة من روائع الإعجاز البلاغي والبياني في القرآن الكريم فهي جمعت بين الفعل (تؤزّهم) بصيغته المضارعة التي تدل على التجدد والحدوث للحاضر والمستقبل ،وبين المصدر(أزّا) الذي هو من لفظ الفعل ليؤكد شدة إغواء الشياطين للكافرين، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة وهي

سلطة الشياطين على اتباعهم الغاوين فقط بقوله تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلّا من اتبعك من الغاوين)[الحجر/٤٢]

لذلك المأزوزون يعيشون في دوامة من أصوات الشياطين تسيطر عليهم وتحيط بهم فلا تدع لهم مجالا للاستماع إلى صوت الحق والهداية ،وسياحة في أصوات هذه اللفظة تدل على مدا مطابقة أصواتها ومحاكاتها لمعناها ودلالتها ،فهي متكونة من صوتين الهمزة والزاي ،فالهمزة بما فيها من جهر وشدة وانفتاح وتوسط ؛لتدل على الجوفية وعلى ما هو وعاء للمعنى ،وتدل على الصفة تصير طبعا لتناسب نشاط الشياطين واندفاعهم في الإغواء والتحريك لمن لم يعتصم بركن وثيق ،ولم يستعذ بحصن حصين يقيه من ذلك الاضطراب ،والزاي بما فيها من جهر ورخاوة وانفتاح وصفير وضعف دلت على التقلع القوي. فأصوتها تحاكي بشدة معانيها فالزاي بصفيرها تحاكي صوت الأزيز وهو صوت الشيطان الذي يغلي من شدة حقده على الإنسان كغليان القدر لذلك هو يحاول بكل ما أوتي من قوة الكيد والوسوسة أن يغري اتباعه إغراء الشر ويغويهم ويزعجهم ازعاجا يهيجهم للباطل وينقادون إليه ليضيق في صدورهم صوت الحق والايمان فلا تكاد تسمعه ضمائرهم ،فيصبح قلب الكافر كقلب الشيطان يغلي مثل غليان القدر على من آمن واتبع هدى الله .

فحركة الشيطان داخل النفس البشرية من حيث السرعة والشدة والصوت والنتيجة تحاكي اشتعال النار وانتشارها في الهشيم ،لذلك القرآن الكريم عبر بصيغتي هذه اللفظة (تؤزهم أزّاً) ليبرهن عن صراع دائم ومستمر بين النفس والشيطان ،ولم يستعمل القرآن الكريم (الأزّ)إلا مع الشياطين فكان إيحاؤهم إلى جنودهم وأتباعهم يملأ آذانهم فيأخذ عليهم الأقطار والنواحي ،ويسد أمامهم كل الطرق حتى يغووهم فيدخلون النار، وهذا هو الخسران الكبير. ومرة أخرى نلحظ بديع انتخاب القرآن الكريم لهذه الأصوات الاهتزازية وتوزيعها على نسق يحرك اللوحة بأكملها (تؤزهم أزّاً) .

٢- رجّ

استعمل القرآن الكريم هذه اللفظة مرتين في سورة الواقعة الآية ٤ في قوله تعالى: ((إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا)) مرة فعلا ماضيا مبنيا للمجهول والأخرى مصدرا.

قال الخليل: الرجّ تحريكك شيئا ،كحائط دككته ،ومنه الرجرجة ،وكتيبة رجراجة :يترجرج عليها الحديد ...والارتجاج :مطاوعة الرج ،وهو أن تزلزل زلزالا شديدا، وارتج الظلام : التبس ،وارجرج :نعت للشيء يترجرج ...والرجرجة :بقية الماء في الحوض الكدرة المختلطة بالطين ،والرّجاج :الضعيف من الناس والإبل، ورجرجة من الناس :أي سِفْلةٌ ،والرجاج : المهازيل (الفراهيدي،١٩٨٠،ج٦ص١٦)

وسمعت رجة القوم :أي اصواتهم ،وكذلك رجة الرعد :أي صوته :وأرتُج عليه :أغلق عليه أمره كما يغلق الباب ،والرجج :الاضطراب (ينظر: ابن دريد،١٩٨٧،ج١ص٥١،وج٢ص٣،وج٣ص١٨٧)، والرجرجة: الاضطراب، وارتج البحر وغيره اضطرب، وترجرج الشيء: جاء وذهب (الجوهري، ١٩٨٧،ج١ص٣١٧) ،والرج :التحريك والتحرك ،والاهتزاز ،والحبس ،والرجرجة :الاضطراب ،كالارتجاج والترجرج والاعياء، وبكسرتين :بقية الماء في الحوض ،والجماعة الكثيرة في الحرب ،والبزاق ،ومن لا عقل له(الفيروز آبادي،١٤٢٦هـ،ج١ص١٩٧)

يتبين من كلام اللغويين أن أصل هذه المادة :التحريك ،والاضطراب ،ومطاوعة الرج، والتباس الكلام ،والمهازيل من الناس والإبل والغنم ،والصوت .

وفسرها المفسرون بزلزلة الأرض زلزالا، والزلزلة : الحركة باضطراب واهتزاز ؛ومنه قولهم :ارتج السهم عند خروجه من القوس ،وقيل: ترتج الأرض بمعنى ينهدم كل بناء على الأرض (الطبرسي، ١٣٣٩ ش،ج٩،٤٤٨)، وقال ابن عاشور: الرّج الاضطراب والتحرك الشديد فمعنى (رُجت) رجها راج وهو الله تعالى، وهو ما يطرأ فيها من الزلازل والخسف(ابن عاشور،١٩٨٤، ج٢٧،٢٦٢)

إن وقوع هذه الزلزلة العظيمة والرجف والرج والتشقق الشديد للأرض من الآيات المسلم بها ، فالشدة في الاضطراب تكشفها مادة رجّ ،والمصدر بعد ذكر الفعل يعد تأكيدا على تحقق الفعل ،فضلا عن التنوين المشعر بالتعظيم والتهويل لأن اهتزاز الأرض لا يعرف مداه إلا الله تعالى .

الكلمة متكونة من صوتين هما الراء والجيم ،وصفات الراء هي : جهر ،وتوسط ،وإذلاق، وانحراف وتكرير، وقوة ،لتدل على الملكة وشيوع الوصف، فكأن ارتعاد الراء عند النطق به ناسب الرج ،وأما صفات الجيم فهي : جهر وشدة وقلقلة وقوة ،لتدل على العظم مطلقا ، فهناك مناسبة بين التكرار في الراء والتشديد في الجيم ليُنبئ هذا البناء عن شدة وقع الزلزلة وما يحصل من اضطراب شديد ناتج عنها، يشمل كل ما فوق الأرض وما تحتها .

إن سقوط الجبال بثقلها الكبير ووقوعها على الأرض (وبست الجبال بسا) أي طحنت طحنا فكانت هباء منبثا ذرات منتشرة في الهواء كالغبار المتطاير مع الريح هذا المشهد كأنما يتوقع له الحس ارجحة ورجرجة يحدثها عند الوقوع وسياق الآية يوكد ذلك فإذا هي(خافضة رافعة) فممكن ان يكون هذا الخفض والرفع ماديا كما في الزلزلة والرجف والرج ،ومن الممكن أن يكون معنويا ترتفع بأُناس وتنخفض بآخرين .

٣- رجف

استعملت هذه اللفظة ومشتقاتها ثمان مرات في خمس سور من القرآن الكريم منها ،قوله تعالى في سورة [الأعراف: ٧٨ و، ٩١] و[العنكبوت: ٣٧]((فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) و[الأعراف الآية ١٥٥]، قوله تعالى: ((وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا))،وقوله تعالى في [النازعات :٦]: ((يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ))، وقوله تعالى في سورة [المزمل :١٤]: ((يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا)) ، وقوله تعالى في سورة[الأحزاب :٦٠]: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا).

قال الخليل : رجف الشيء يرجف رجفا ورجفانا... ونحوه رجفت الأرض: تزلزلت: ورجف القوم: تهيأوا للحرب، وأرجفوا :خاضوا في الأخبار السيئة من الفتنة ونحوها ،والرجفة : كل عذاب أنزل فأخذ قوما فهو رجفة وصيحة وصاعقة، والرعد يرجف رجفا ورجيفا :وهو تردد هدته في السماء (الفراهيدي ،١٩٨٠،ج٦ص١٠٩)،والرجفان الإسراع(ابن سيده،٢٠٠٠،ج٧ص٣٩٤)،ورجف الشيء يرجف رجوفا ورجفانا ،إذا اضطرب اضطرابا شديدا ورجفت الأرض إذا زلزلت ،وفي التنزيل (يوم ترجف الراجفة) الرجفة أيضا ، ورجف القلب إذا اضطرب من فزع ، ويسمى البحر رجّافا لاضطراب موجه ،وإنما قيل:أرجف الناس بكذا وكذا ،إذا خاضوا فيه واضطربوا (ابن دريد،١٩٨٧،ج٢ص٨١)،والرجفة :الزلزلة معها الخسف (الأزهري،٢٠٠١،ج١١ص٤٢) وفرق ابو هلال العسكري بين الرجفة والزلزلة بقوله :إن الرجفة :الزلزلة العظيمة ،ولهذا يقال :زُلزت الأرض زلزلة خفيفة ،ولا يقال :رجفت ،إلّا إذا زُلزلت زلزلة شديدة .وسميت زلزلة الساعة رجفة لذلك ،ومنه الإرجاف ،وهو الإخبار باضطراب أمر الرجل، ورجف الشيء إذا اضطرب، يقال :رجفت منه إذا تقلقلتَ (العسكري ،د.ت ،ص٢٤٩)

ويظهر من تفسير اللغويين أن الأصل في هذه المادة هو الحركة والاضطراب الشديد ، واستعملها القرآن الكريم في محاور مختلفة ففي آيات الأعراف الثلاثة ،وآية العنكبوت؛ استعملت في محور القصص القرآني ،حين وصفت نزول البلاء والعذاب بالناس بعد تماديهم وطغيانهم وارتكابهم المعاصي ،وبعد تكذيب النبي موسى (عليه السلام) وطلبهم من نبيهم رؤية الله جهرة ،أما آية الأحزاب فقد وصفت ثلاثة اصناف من المعادين للإسلام ،وكل منهم كان له اسلوبه الخاص في تحقيق أهدافه الهدامة والتخريبية فكان المنافقون يسعون لاقتلاع جذور الإسلام عبر مؤامراتهم المستمرة ضده لذلك اشارت لهم الآية الكريمة قبل غيرهم في قوله تعالى : (لئن لم ينته المنافقون) ،والفئة الثانية هم دون المنافقين في السوء وهم الأراذل (الذين في قلوبهم مرض)، والفئة الثالثة هم المرجفون (والمرجفون في

المدينة) الذين ينشرون الأكاذيب طالبين التزلزل والاضطراب في المجتمع للوصول إلى مقاصدهم الخبيثة كنشر الأخبار السيئة الكاذبة التي تؤدي إلى إضعاف قلوب المؤمنين ،وتقوية قلوب المشركين بما يشيعونه من الباطل للاعتمام به ،لذلك هددهم الله جميعا ،"فيقال أرجف بكذا :إذا أخبر به على غير الحقيقة ،لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت ،من الرجفة ،وهي الزلزلة " (الزمخشري،١٤٠٧هـ،ج٣،٢٧٤) أما آيتا المزمل والنازعات فجاءت في محور بيان علامات وقوع الآخرة (يوم ترجف الأرض والجبال) فهي الزلزلة الكبرى ،وقد أخبر الله تعالى في كتابه المجيد عن علامات الساعة في سور متعددة منها: (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) [الحج/١].

أما صفات أصواتها: الراء، والجيم، والفاء ،فالراء فيها جهر، وتوسط ، وإذلاق، وانحراف وتكرير، وقوة لتدل على الملكة وشيوع الوصف، لتناسب شيوع الاضطراب الشديد والحركة الشديدة الزلزلة وأكثر، كما أن طول مدة النطق بها ناسب هذه الدلالة ، وتأتي الجيم بما فيها من جهر وشدة وقلقلة وقوة ،لتدل على العظم مطلقا، لتناسب عظمة وقوة جبروته في زلزلة الأرض واضطراب ما عليها وناسب هذه الدلالة قصر مدة النطق بها، لتأتي الفاء بما فيها من همس ورخاوة وانفتاح وضعف لتدل على لازم المعنى، وليتناسب مكر المرجفين في زلزلتهم نفوس المسلمين عبر نشرهم الأخبار الكاذبة وقصر مدة النطق بها ناسب ضعفهم أمام قدرة الله تعالى وعظمته.

٤- صدي

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة [الأنفال:٣٥] في قوله تعالى :

((وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ))

التصدية :هي التصويت بتصفيق وغيره ،ومنه الصدى ... والتصدية كل صوت يجري مجرى الصدى في أن لا غناءَ فيه ،فقوله تعالى :(إلّا مكاء وتصدية) أي غناء ما يوردونه غناء الصدى (السمين الحلبي،١٩٩٦،ج٢ص٣٨٠)

وأما التصدية فهي التصفيق : يقال: صدّى يُصدّي تصدية إذا صفق بيديه ،وفي أصلها قولان :الأول : أنها من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من جبل .والثاني : قال أبو عبيدة: أصلها تصددةٌ فأبدلت الياء من الدال ،ومنه قوله تعالى :(فإذا قومك منه يصدون)[الزخرف /٥٧] أي يعجزون ،وأنكر بعضهم هذا الكلام ،والأزهري صحح قول أبي عبيدة ،وقال: صدى أصله صدّى، فكثرت الدالات الدالة فقلبت إحداهن ياءً.

قال ابن عباس : كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون، وقال مجاهد : كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزؤون به ويصفّرون ويخلطون عليه طوافه وصلاته ، وقال مقاتل : كان إذا صلى الرسول في المسجد يقومون عن يمينه ويساره بالتصفير والتصفيق ليخلطوا عليه صلاته. فعلى قول ابن عباس :كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم ،وعلى قول مجاهد ومقاتل ، كان إيذاءً للنبي صلى الله عليه وسلم .

والأول أقرب لقوله تعالى: (وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَتَصْدِيَةً) .

(الرازي ،١٤٢٠هـ،ج١٥ص٤٨١)

والتصدية ضربك يدا على يد لتُسمع ذلك إنسانا ،وهو من قوله مكاء وتصدية ، صدّى : قيل أصله صدد لأنه يقابل في التصفيق صد هذا صد الآخر أي وجهاهما وجه الكف يقابل وجه الكف الأخرى .

(ابن منظور،١٤١٤هـ،ج١٤ص٤٥٤)

فدلالتها إن كانت تصفيقا أو تصفيرا فهي تدل على الحركة والاهتزاز ،فالتاء بما فيها من همس وشدة وضعف لتدل على الاضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديدا ،وهذا يناسب التصفيق ،والصاد بجهرها ورخاوتها واستعلائها واطباقها وصفيرها لتدل على المعالجة الشديدة وهذا يناسب الصفير ،والدال بجهرها وشدتها وقلقلتها لتدل على التصلب وعلى التغير المتوزع ليناسب موقفهم المعادي للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وايذائه ،والياء بجهرها ورخاوتها وضعفها لتدل على الانفعال المؤثر في البواطن لتناسب قوة الحقد في نفوسهم ،والهاء بما لها من همس ورخاوة وخفاء لتدل على التلاشي، لتعطي صورة عن فشلهم وتلاشي مؤامراتهم أمام ارادة الله تعالى . فأصواتها تحاكي معانيها .

٥. صعق

استعمل هذا الجذر إحدى عشرة مرة في القرآن الكريم ، منها:قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّه) [الزمر /٦٨]،و قوله تعالى:(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ج فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)[الأعراف /١٤٣]،وقوله تعالى:(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[فصلت/١٧]،وقوله تعالى: (فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُون) [الذاريات /٤٤]

قال السمين الحلبي: عند قوله تعالى : (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) قيل: هي صوت الرعد الشديد الذي يصعق منه الإنسان ،أي يغشى عليه ،يقال: صعقتهم الصاعقة ،واصعقتهم فصَعقوا وصُعقوا ،وقيل في الأصل :مصدر على فاعله كالعاقبة .

وقال بعض أهل اللغة :الصاعقة على ثلاث أوجه:

١-الموت كقوله تعالى :(فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ)

٢-العذاب كقوله تعالى:(فقال أنذرتكم صاعقةُ مثل صاعقة عاد وثمود) ،قلت :وذلك أن عادا أهلكت بالريح ،وثمود بالرجفة ،فسّمى ذلك صاعقة .

٣-النار كقوله تعالى : (ويرسل الصواعق)(السمين الحلبي،١٩٩٦،ج٢ص٣٩١) ،وقال الراغب : ما ذكر من أشياء متولدة من الصاعقة ؛ إن الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو ،ثم يكون منه نار فقط ،أو عذاب أو موت ،وهي في ذاتها شيء واحد .وهذه تأثيراتٌ منها ،وقرئ (الصاقعة) فقيل منها ،نسبها الفراء لتميم فعلى هذا ليست مقلوبة ،والصاعقة والصاقعة يتقاربان وهما الهدة الكبيرة ،إلا أن الصقع في الأجسام الأرضية ، والصعق في الأجسام العلوية .وقال بعضهم : وجملة الصاعقة الصوت مع النار، وقيل: هي كل عذاب مهلك ،وقيل: هي الموت وإن اختلفت اسبابها من ريح أو نار أو صوت أو غير ذلك ، وقوله : (وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا)أي لحقته غشيةٌ بدليل قوله: (فَلَمَّا أَفَاقَ) وهو نوع من الأغماء (ينظر:السمين الحلبي،١٩٩٦،ج٢،٣٩٢، والراغب الأصفهاني، د.ت،ص٢٨١)

وقال أهل التفسير (صعق من في السموات والأرض) أي يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات والأرض ويقال صعق أذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة (الطبرسي،١٣٣٩ش،ج٨ص٥٠٨) وفسرها ابن عاشور الموت ،وصعق صعق اضطراب يهيأ لقبول الحياة عند النفخة (ابن عاشور،١٩٨٤،ج٢٤،٦٥) فهي أما أن تكون الصيحة أو العذاب أو النار أو الاضطراب فكلها تدل على حركة عنيفة واهتزاز غير مسبوق معنويا كان أم ماديا ،

أما اصوات اللفظة فهي الصاد والعين والقاف ، فالصاد بجهرها ورخاوتها واستعلائها واطباقها وصفيرها لتدل على المعالجة الشديدة وهذا يناسب كل الدلالات التي خرجت لها اللفظة ، والعين فيها جهر وتوسط وضعف لتدل على الخلو الباطن أو الخلو مطلقا لتناسب حال ابن آدم من ضعف واضطراب وذهول مما يرى ولا طاقة له بدفعه. والقاف بما فيها من جهر وشدة واستعلاء وانفتاح وقلقة وقوة لتدل على المفاجأة التي تحدث صوتا (العلايلي،١٩٨٥،ص٦٣-٦٤) لتدل على أن ما يحدث دليل قدرة الله تعالى وان لا يشيء يفلت أو يهرب منها.

٦- موج

استعمل هذا الجذر في القرآن الكريم ست مرات، ومرة واحدة بصيغة المضارع، في قوله تعالى:" وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ... "[الكهف /٩٩]، وقوله تعالى: " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"[يونس/٢٢]،وفي قوله تعالى: "وهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَنادى نُوحٌ ابْنَهُ وَكانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ * قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ"[هود /٤٢و٤٣]، وقوله تعالى :" أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ" [النور/٤٠]، قوله تعالى: "وَإِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ"[لقمان/٣٢]

الميم والواو والجيم أصل واحد يدل على اضطراب في الشيء، وماج الناس يموجون، إذا اضطربوا. وماج أمرهم ومرج: اضطرب ؛ والموج: موج البحر، سمي لاضطرابه، وماج يموج موجا وموجانا، وكل شيء اضطرب فقد ماج.(ابن فارس،١٩٧٩،ج٥ص٣٨٤) وجاء في اللسان : ما ارتفع من الماء فوق الماء، والفعل ماج الموج، والجمع أمواج؛ وقد ماج البحر يموج موجا وموجانا ومؤوجا، وتموج: اضطربت أمواجه. وموج كل شيء وموجانه: اضطرابه. والمؤوج: مؤوج الداغصة. ومؤوج السلعة: تمور بين الجلد والعظم. ابن الأعرابي: ماج يموج إذا اضطرب وتحير. ورجل مؤوج: مائج؛ أنشد ثعلب: وكل صاح ثملا مؤوجا

والناس يموجون، وماج الناس: دخل بعضهم في بعض. وماج أمرهم (ابن منظور،١٤١٤هـ، ج٢، ص٢٧٠)

ففي سورة الكهف {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ} فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنهم القوم الذين ذكرهم ذو القرنين يوم فتح السد يموج بعضهم في بعض.

الثاني: الكفار في يوم القيامة يموج بعضهم في بعض. الثالث: أنهم الإنس والجن عند فتح السد. وفيه وجهان: أحدهما: يختلط بعضهم ببعض. الثاني: يدفع بعضهم بعضاً، مأخوذ من موج البحر. (الماوردي، د.ت،ج٣ ص٣٤٥)

وعلى اختلاف التفسيرات سواء أكانوا يأجوج ومأجوج أو الخلق جميعهم من الأنس والجن فهم يموجون في الدنيا مختلطين يرتطمون ببعضهم لكثرتهم فيكون حالهم كحال الماء الذي يتموج باضطراب أمواجه، أما على تفسير أنهم الكفار في يوم القيامة فلا أنسب من هذه الوصف لهم حين يظهر الله تعالى جهنم ويبرزها لهم ويرون ألوان عذابها قبل دخولها فيموج بعضهم في بعض.

وفي سورة يونس: وَجاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكان"من البحر والموج اضطراب البحر ومعناه :وجاء راكبي البحر الأمواج العظيمة من جميع الوجوه(الطبرسي، ١٣٣٩ش، ج٥، ١٠١)

أما في سورة هود: "وهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ " يبين الله تعالى أن السفينة كانت تجري بنوح (عليه السلام) ومن معه على الماء في أمواج شبهها سبحانه بالجبال لعظمتها وبالغ ارتفاعها ،كما أن التشبيه بالجبال بصيغة الجمع يدل على ان الموج لم يكن واحدا بل كان متعددا. فالموج لكثرته وارتفاعه حال بين نوح (عليه السلام) وبين ابنه الآبق في أعلى الجبل.

وفي سورة النور":" أوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ" فبعد أن شبه سبحانه وتعالى أعمال الكافر كالسراب في الآية السابقة ، يشبهها في هذه الآية بالظلمات في بحر عظيم اللجة لا يرى ساحله من شدة سعته ، أو هو بحر عميق جدا، وقد يكون هو عظيم، وعميق، ومتردد الأمواج ويعلوا ذلك البحر موج وفوق الموج موج وفوقه سحاب ،يعني ثلاث ظلمات :ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب وهو تشبيه في غاية الروعة لنفس الكافر المتحيرة على غير هدى ولا رشاد فكل اعماله القولية والفعلية هي ظلمة في ظلمة فهو متقلب في ظلمات إلى أن يصل إلى الظلمة الأكبر والأبقى وهي ظلمة النار في يوم القيامة. (ينظر:الطباطبائي،١٤٢٩هـ،ص٤١٧)

وفي سورة لقمان "وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ" فيه وجهان: أحدهما: كالسحاب ، قاله قتادة. الثاني: كالجبال ، قاله الحسن ويحيى بن سلام. وفي تشبيهه بالظل وجهان: أحدهما: لسواده ، قاله أبو عبيدة. الثاني: لعظمه. (الماوردي،د.ت،ج ٤ص٣٤٧)

شبه سبحانه الموج في ارتفاعه وتغطية ما تحته بالسحاب الذي يركب بعضه على بعض أو بالجبال في شدة ارتفاعه ،فضلا عن السواد والعظمة وهذا المنظر كله يوحي بالخوف والذعر من هول ما يشاهده راكبي السفن من هذا الموج المضطرب.

وهكذا رأينا أن دلالة موج عند أهل التفسير لا تختلف عنها عند أهل اللغة ،وهي الاضطراب

أما أصواتها فهي: الميم والواو والجيم: وصوت الميم فيه: جهر، وتوسط وانفتاح ،وغنة دلّ على الانجماع (العلايلي،١٩٨٥،٦٣) والواو فيها جهر ورخاوة وانفتاح وضعف ليدل على الانفعال المؤثر في الظواهر، وتأتي الجيم بما فيها من جهر وشدة وقلقلة وقوة ،لتدل على العظم مطلقا ،لتناسب

عظمة الله وقوة جبروته في اضطراب ماء البحر عليها وناسب هذه الدلالة قصر مدة النطق بها (العلايلي،١٩٨٥، ص ٦٣) فكأن الجهر وهو انحباس جريان النفس عند النطق بأصوات هذه الكلمة ناسب انحباس انفاسهم عند رؤية الموج يعلو فوقهم ، وغنة الميم وهو صوتها الزائد المنبعث من الخيشوم ،يناسب حالة الهلع وما يصاحبها من صوت ارتطام بعضهم ببعض ،وتأتي القلقة في الجيم وهي اضطراب المخرج عند النطق بها ساكنة حتى يسمع لها نبرة قوية لتناسب قوة الاضطراب في الماء بعد ان كان ساكنا ليكون له وقع في آذانهم وأنفسهم بالغ القوة .

٧ـ مور

ورد هذا الجذر في القرآن الكريم ثلاث مرات ، مرتان في سورة الطور بصيغة المضارع والمفعول المطلق، في قوله تعالى:" يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً. وَتَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً. فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ " [الطور /٩] وبصيغة المضارع في قوله تعالى:"أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ [الملك/١٦]

جاء في مقاييس اللغة :"الميم والواو والراء أصل صحيح يدل على تردد. ومار الدم على وجه الأرض يمور: انصب وتردد... والمور: تراب تمور به الريح، والناقة تمور في سيرها، وهي موارة: سريعة ،... والمور: الطريق، لأن الناس يمورون فيه، أي يترددون، والمور: الموج "(ابن فارس، د.ت،ج٥ ص٢٨٥)

(مَارَ) مِنْ بَابِ قَالَ، تَحَرَّكَ وَجَاءَ وَذَهَبَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا} [الطور: ٩] قَالَ الضَّحَّاكُ: تَمُوجُ مَوْجًا وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْأَخْفَشُ: تَكَفَّأُ.(الرازي، ١٩٨٣م،ص٣٠١)

ومار الشيء مورا: اضطرب وتحرك؛ حكاه ابن سيده عن ابن الأعرابي. وفي حديث

ابن الزبير: يطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد

أي تتردد وتضطرب لكثرتها... المور، بالفتح: الطريق، سمي بالمصدر لأنه يجاء فيه ويذهب، والطعنة تمور إذا مالت يمينا وشمالا، والدماء تمور على وجه الأرض إذا انصبت فترددت. (ابن منظور،١٤١٤هـ،ج٥ص١٨٦ـ ١٨٧١)

اتفق المفسرون مع اللغويين على دلالة تمور، فهي في التفسير الوسيط بمعنى:

تدور دورانًا وتضطرب، وتتحرك وتستدير، كل هذا من عبارات المفسرين، والمور في اللغة: الذهاب والمجيء، والتردد والدوران(الواحدي،١٩٩٤م ج٤ص١٨٥)، وفي تفسير القرآن{يَوْم تمور السَّمَاء مورا} أَي: تَدور، وَيُقَال: تَجِيء وَتذهب وَالْمرَاد سَيرهَا وَيُقَال تكفأ بِأَهْلِهَا.(السمعاني،١٩٩٧م،ج٥ص٢٦٩)

وأما في الكشف والبيان عن تفسير القرآن ،فهي: "أي تدور كدوران الرحى، وتتكفّأ بأهلها تكفّأ السفينة، ويموج بعضها في بعض.

واختلفت عبارات المفسرين فيها: قال ابن عباس: تدور دورانا. قتادة: تتحرك.

الضحاك: تحرك. عطاء الخراساني: تختلف إحداها بعضها في بعض. قطرب: تضطرب.

عطية: تختلف. المؤرخ: يتحول بعضهم تحولا. الأخفش: تتكفّأ، وكلّها متقاربة". (الثعلبي،٢٠٠٢م،ج ١٢٦،٩)

تبين آية الطور مشهدا من مشاهد يوم القيامة المروعة والمخيفة الذي ينتزع القلوب من الصدور انتزاعا فمشهد السماء الثابتة المبنية بقوة وهي تضطرب وتتقلب كما يضطرب الموج في البحر من هنا إلى هناك بلا قوام ولا هوادة، ومشهد الجبال الصلبة الراسية تسير خفيفة رقيقة لا ثبات لها ولا استقرار. أمر مذهل مزلزل. يدل ضمنا على الهول الذي تمور فيه السماء وتسير منه الجبال. فكيف بالإنسان الضعيف الحقير المسكين المستكين في ذلك الهول المذهل المخيف؟! وفي زحمة هذا الهول الذي لا يثبت عليه شيء وفي ظل هذا الرعب المزلزل لكل شيء، يتوعد الله تعالى المكذبين بالويل وهو دعاء عليهم بما هو أهول وأرعب مما رأوه من مور السماء وتسيير الجبال فياله من موقف تتحطم عليه كل آمال المكذبين بالخلاص فتناسب هول المشهد مع الوعيد.

أما آية الملك ففسر صاحب التفسير الوسيط تمور بأنها أي الأرض

: تضطرب، وتتحرك، والمعنى: أن الله يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك، فتلعو عليهم، وهم يخسفون فيها، والأرض تمور فوقهم، فتقلبهم إلى أسفل.(للواحدي،١٩٩٤م،ج ٣٢٩،٤)

وقيل: [أأمنتم من فِي السَّمَاء] قَالَ ابْن عَبَّاس أَي: الله.

وَقَوله: [أَن يخسف بكم الأَرْض فَإِذا هِيَ تمور] أَي: تضطرب وتدور، وَيُقَال: تمور أَي: تخسف بكم حَتَّى تجعلكم فِي أَسْفَل الْأَرْضين (السمعاني، ١٩٩٧م،ج ٦ص١٢)

الناس الذين يعيشون على ظهر هذه الأرض، فيأكلون منها مما رزقهم الله فيها من الرزق المقسوم، يشاهدون كيف تتحول هذه الأرض الذلول إلى وحش كاسر لا يقف بوجهه شيء في بعض الأحيان، عند ما يأذن الله بأن تضطرب قليلا فيرتج كل شيء فوق ظهرها أو يتحطم! ويمور كل ما عليها ويضطرب فلا تمسكه قوة ولا حيلة. ذلك عند الزلازل والبراكين، التي تكشف عن الوحش الجامح، الكامن في تلك الدابة الذلول، التي يمسك الله بزمامها فلا تثور إلا بقدر، ولا تجمح إلا ثواني معدودات بإذن من الله تعالى يتحطم فيها كل ما شيد الإنسان على ظهرها أو يغوص في جوفها وهي

تمور.. والناس لا يملكون من هذا الأمر شيئا ولا يستطيعون إيقافها فتظل أبصارهم شاخصة وعقولهم واقفة وأنفسهم حائرة جراء ما يشاهدون. فتبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

أما أصواتها، فهي الميم والواو والراء: و الميم فيها :جهر ،وتوسط وانفتاح ،وغنة دلّت على الانجماع (العلايلي،١٩٨٥، ص ٦٣) والواو: فيها جهر ورخاوة وانفتاح وضعف لتدل على الانفعال المؤثر في الظواهر ،والراء فيها :جهر وتوسط وانفتاح وانحراف وتكرير وقوة لتدل على الملكة وعلى شيوع الوصف ،فكأن الجهر في صفات أصواتها وهو انحباس جريان النفس عند النطق بها ملائم لانحباس أنفاسهم من هول اضطراب الارض وشدة اهتزازها ،وانفتاح أصواتها وهو تجافي طائفتي اللسان والحنك الأعلى عن الأخرى لائم تجافي الأرض عن صلابتها وسكونها وهدوئها فأخذت تحطم ما على ظهرها وتكسره بلا رحمة ساعدها التكرير في صوت الراء الذي بارتعاده وافق ارتعاد الأرض واضطرابها وهيجانها كأنها حُلت من عقال

٨- ميد

ورد هذا الجذر في القرآن الكريم ثلاث مرات، في قوله تعالى:(وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [النحل: ١٥]، وفي قوله تعالى:(وَجَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنا فِيها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) [الأنبياء/٣١]،وفي قوله تعالى: (وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) [لقمان /١٠]

جاء في المفردات:"المَيْدُ: اضطرابُ الشيء العظيم كاضطراب الأرض"(الراغب الصفهاني ،د.ت، ص٤٧٧) وما جاء في عمدة الحفاظ يؤيد ما في المفردات، وفيه :" وقوله :(أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) أي تضطرب وتتحرك حركة شديدة، وقيل: هو اضطراب الشيء المعظّم، كاضطراب الأرض ونحوها"(السمين الحلبي ،١٩٩٦،ج٤ص١٣٠) وفي لسان العرب، هي من: ماد الشيء يميد ميدا: تحرك ومال. وفي الحديث:

لما خلق الله الأرض جعلت تميد فأرساها بالجبال.

وفي حديث ابن عباس: فدحا الله الأرض من تحتها فمادت.

وفي حديث علي: فسكنت من الميدان برسوب الجبال

وهو بفتح الياء، مصدر ماد يميد. وفي حديثه أيضا يذم الدنيا:

فهي الحيود الميود، فعول منه.

وماد السراب: اضطرب: وماد ميدا: تمايل. وماد يميد إذا تثنى وتبختر. ومادت الأغصان: تمايلت. قال أبو العباس في قوله: أن تميد بكم* ،فقال: تحرك بكم وتزلزل (ابن منظور،١٤١٤هـ، ج٤،٤١٣)

فالميد الحركة والاضطراب، ماد يميد ميدا، قال ابن عباس: أوتدها بالجبال لئلا تميد بأهلها.

(أَن تَمِيدَ بِهِم) فيه وجهان: أحدهما: لئلا تزول بهم. الثاني: لئلا تضطرب بهم. الميد الاضطراب. (الماوردي،د.ت،ج٣ص٤٤٥)

جو السور مشحون بالآيات الكونية التي تتجلى فيها عظمة الخالق سبحانه ليخاطب بها العقل البشري الواعي ليتدبرها والعين لتراها والأذن لتسمعها واليد لتستشعرها، والضمير ليتأثر بها فهي تخاطب كل حاسة وجارحة في الإنسان المتدبر الذي يعي عظمة ما يرى من صور الإبداع الرباني في الأرض والسماء وفي كل ما حوله ،ولا ينفر منها ولا يتأثر بها إلا من كان ميت القلب مغلق العقل قاصر التفكير فلا تهزه تلك الصور الرائعة ،ومنها جعل الجبال الشامخة مثبتة للأرض لتسكن كيلا تضطرب وتهتز وتميل بأهلها فيختل نظام معاشهم.

فهنا في هذه الآيات نرى توفق التفسير بين اللغويين والمفسرين على ان دلالة تميد هي الاضطراب والاهتزاز والحركة .

أما أصواتها، فهي الميم والياء والدال ،فصوت الميم فيه: جهر ،وتوسط واستفال وانفتاح، واذلاق ،وغنة دلّت على الانجماع، وصوت الياء فيه جهر ورخاوة واستفال وانفتاح واضعاف وضعف لتدل على الانفعال المؤثر في البواطن، ويأتي صوت الدال بما فيه من جهر وشدة واستفال وانفتاح وقلقلة وقوة لتدل على التصلّب أو على التغيّر المتوزع، واشتراك الأصوات بصفة الجهر تؤكد صفة انحباس أنفاس من على الأرض عند اضطرابها وتهزهزها،

وصفتي الاستفال والانفتاح تحاكي انفتاح الأرض وتجافيها ،لتأتي قلقلة الدال في اضطراب المخرج عند النطق بها ساكنة حتى يسمع لها نبرة قوية لتضارع قوة الاضطراب الذي يحدث للأرض عندما تميد.

٨- نغض

ورد استعمال هذا الجذر مرة واحدة في سورة الإسراء الآية ٥١ في قوله تعالى:((فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو))

النون والغين والضاد أصل صحيح يدل على هزّ وتحريك. من ذلك النّغضان :تحرك الأسنان ،والإنغاض :تحريك الإنسان رأسه نحو صاحبه كالمتعجب منه ،قال سبحانه : (فسينغضون إليك

رؤوسهم) والنغض :الظليم لاضطراب رأسه عند مشيه، والناغض والنغض غرضوف الكتف سمي لاضطرابه...والنغوض الناقة العظيمة السنام ،وإذا عظم اضطرب(ابن فارس،د.ت،ج٥ ص٤٥٣ـ٤٥٤) نغض الشيء ينغض نغضا ونغوضا ونغضانا وتنغّض وأنْغض: تحرك واضطرب ،وانغضه هو أي حركه كالمتعجب من الشيء والنَّغْضُ: الَّذِي يُحَرِّك رأْسَه ويَرْجُف فِي مِشْيَتِه، وَصَفَ بِالْمَصْدَرِ. وكلُّ حَرَكَةٍ فِي ارْتِجافٍ نَغضٌ، اللَّيْثُ: يُقَالُ للغَيْم إِذا كَثُفَ ثُمَّ تَمَخَّض: قَدْ نَغَضَ حَيْثُ تَرَاهُ يَتَحَرَّكُ بعضُه فِي بَعْضٍ مُتَحَيِّراً وَلَا يَسير. ومَحالٌ نُغَّضٌ؛ قَالَ الرَّاجِزُ:

لَا ماءَ فِي المَقْراةِ إِن لَمْ تَنْهَضِ ... بمَسَدٍ فوقَ المَحالِ النُّغَّضِ

(ابن منظور،١٤١٤هـ،ج٧ ص٢٣٨ـ٢٣٩)

وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ «بَشِّرِ الْكَنَّازِينَ بِرَضْفٍ فِي الناغِض» وَفِي رِوَايَةٍ «يُوضَع عَلَى نُغْضِ كَتِف أحدِهم» وَأَصْلُ النَّغْض: الْحَرَكَةُ. يُقَالُ: نَغَضَ رأسُه، إِذَا تَحَرَّكَ، وأَنْغَضَهُ، إِذَا حرَّكَه.(ابن الأثير ، ١٩٧٩م، ج٥ص ٨٧)

فأصل المادة هو الاهتزاز والحركة ، وقد وافق أهل التفسير أهل اللغة في بيان دلالتها ،فقد جاء عند سيد قطب:

"«فَسَيَقُولُونَ: مَنْ يُعِيدُنا» ؟

من يردنا إلى الحياة إن كنا رفاتا وعظاما، أو خلقا آخر أشد إيغالا في الموت والخمود؟ «قُلِ: الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» ...

وهو رد يرجع المشكلة إلى تصور بسيط واضح مريح. فالذي أنشأهم إنشاء قادر على أن يردهم أحياء. ولكنهم لا ينتفعون به ولا يقتنعون:

«فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ» ينغضونها علوا أو سفلا، استنكارا واستهزاء:

«وَيَقُولُونَ: مَتى هُوَ؟» : استبعادا لهذا الحادث واستنكارا.

أنه أراد البعث لأنه كان أكبر شيء في صدروهم، قاله الكلبي ،ما يكبر في صدوركم من جميع ما استعظمتموه من خلق الله تعالى ، فإن الله يميتكم ثم يحييكم ثم يبعثكم ، قاله قتادة. { ... فسينغضون إليك رءُوسَهُم} قال ابن عباس وقتادة ، أي يحركون رؤوسهم استهزاء وتكذيباً ، قال الشاعر:

(قلت لها صلي فقالت مِضّ ... وحركت لي رأسها بالنغضِ)

(للماوردي،د.ت،ج٣ ص٢٤٨)

عن قتادة (قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي خلقكم (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزُّون إليك رءوسهم برفع وخفض، وكذلك النَّغْض في كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم

انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمي الظليم نَغْضا، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض، وحرّك رأسه،

ويقال: نَغَضَت سنه: إذا تحرّكت وارتفعت من أصلها؛ ومنه قول الراجز:

ونَغَضَتْ مِنْ هَرِمٍ أسْنانُها (الطبري ،٢٠٠٠م،ج١٧،ص ٤٦٦)

والمعنى : لو كنتم حجارة أو حديدا لأحياكم الله، لأنهم جعلوا كونهم عظاما حجة لاستحالة الإعادة، فرد عليهم بأن الإعادة مقدرة لله تعالى ولو كنتم حجارة أو حديدا، لأن الحجارة والحديد أبعد عن قبول الحياة من العظام والرفات إذ لم يسبق فيهما حلول الحياة قط بخلاف الرفات والعظام... الانغاض: التحريك من أعلى إلى أسفل والعكس. فإنغاض الرأس تحريكه كذلك، وهو تحريك الاستهزاء.(ابن عاشور،١٩٨٤،ج١٥ص ١٢٨)

إذن معنى فَسَيُنْغِضُونَ هو هز الرأس وتحريكه إلى أعلى أو أسفل ،سواء أكان تكذيبا أم استنكارا أم استهزاء.

أما دلالة الكلمة الصوتية فهي متكونة من النون والغين والضاد ،والنون بما فيها من جهر ،وتوسط بين الشدة والرخاوة ،واذلاق وغنة فدلت على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى تمكنا تظهر أعراضه لتناسب قوة تمكن الشر في نفوسهم واعراضهم عما يقوله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وتأتي الغين بما فيها من جهر ورخاوة واستعلاء وقوة دلت على كمال المعنى في الغور أو الخفاء لتناسب استهزاءهم بما يسمعون من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضامرين ما في صدورهم من غل وحقد عليه وتأتي الضاد : بما فيها من جهر ورخاوة واستعلاء واطباق واستطالة وقوة فدلت على الغلبة تحت الثقل لتناسب غلبة حقدهم فتتحرك جوارحهم تبعا له فتبوح السنتهم بما أضمرته نفوسهم من تكذيب واستخفاف بما جاء به النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم).و تهتز رؤوسهم فيحركونها إلى الأعلى والأسفل لتناسب ما صرحت به السنتهم من الاستنكار والتكذيب

(ينظر: العلايلي،١٩٨٥،ص٦٣-٦٤)

٩- هزّ

ورد استعمال هذا الجذر في خمس آيات في خمس سور،في قوله تعالى: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) [مريم /٢٥]، وقوله تعالى : (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج /٥]، وقوله تعالى:(مِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [فصلت/ ٣٩]، وقوله تعالى: (وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ

يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) [النمل /١٠]، وقوله تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ)[القصص/٦١]

الهاء والزّاء: أَصل يدل على اضطراب في شيء وحركة. وهززتُ القناةَ فَاهتزت. واهتز النباتُ، وهزته الريحُ. وهزَّ الحادي الإبل بحُدائه واهتزَّت هي في سيرها. وهزيزُ الريح: حركتها وصوتها.

ومن الباب الهزاهز: الفتن يهتزُّ فيها الناس. وسيف هزهاز وهزهز: صَاف حسن الِاهتزاز. وماء هُزَهِزٌ: اهتزَّ في جريانه. والكوكب في انقضاضه يهتزّ. والهزهِزُ: الرجل الخفيف، والقياس في كل ذلك واحد.(ابن فارس،د.ت،ج٦ص٩)

الْهَزُّ: التّحريك الشّديد، يقال: هَزَزْتُ الرّمح فَاهْتَزَّ وهَزَزْتُ فلانا للعطاء. قال تعالى: وَهُزِّي لَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ [مريم/ ٢٥] ، فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ

[النمل/ ١٠] ، واهْتَزَّ النّبات: إذا تحرّك لنضارته، قال تعالى: فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ [الحج/ ٥] واهْتَزَّ الكوكب في انقضاضه، وسيف هَزْهَازٌ، وماء هُزَهِزٌ ورجل هُزَهِزٌ: خفيف.(الراغب الأصفهاني،د.ت،ص٥٤٢)

الهزُّ: تحريك الشيء كما تهزّ القناةَ فتضطرب وتهتزُّ، وهزَّه يهزّه هزّاً وهزّ به وهزّزه. وفي التنزيل العزيز: (وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ)

؛ أي حركِي. والعرب تقول: هزّه وهزّ به إذا حرَّكه؛ ومثله: خذ الخطام وخذ بالخطام قال ابن سيده: وإنما عدّاه بالباء لأنَّ في هُزِّي معنى جُرِّي؛ وقال المتنخل الهذليّ:

قَدْ حَالَ بَيْنَ دَرِيسَيْهِ مُؤَوِّبَةٌ ... مِسْعٌ، لَهَا بِعِضاهِ الأَرضِ تَهْزِيزُ

مؤوِّبة: ريح تأتي ليلًا، وقد اهتزّ؛ ويستعار فيقال: هززت فلانًا لخيرٍ فاهتزّ، وهززتُ الشيء هزّا فاهتزّ أي حرَكته فتحرَّك؛ قال:وكل من خفّ لأمر وارتاح له، فقد اهتزّ له؛ وأخذته لذلك الأمر هزّة أَي أريحيَة وحركة. واهتزّ النّبات: تحرّك وطال. وهزّته الريح والري: حرَّكاه وأطالاه. واهتزّت الأرضُ: تَحَرَّكت وأَنبتت. وفي التنزيل العزيز:(فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ)؛ اهتزّت أَي تحرَّكتْ عند وقوع النبات بها، وربت أي انتفخت وعلتْ. وفي الحديث:

(إِني سَمِعْتُ هَزِيزاً كَهزِيز الرَّحَى)

أي صوت دورانها. والهزُ والهزيزُ في السير: تحريك الإبل في خفتها. وقد هزّها السيرُ وهزّها الحادي هزيزاً فاهتزّتْ هي إذا تحرَّكت في سيرها بحُدائه. الأصمعي: الهزّةُ من سير الإبل أن يهتزَّ الموكب. قال النّضرُ: يهتزّ أي يسرع.

. وهزيزُ الريح: دويها عند هزها الشجر؛ يقال: الريح تهزز الشجر فيتهزّزُ؛ وهزهزهُ أي حرّكه فتهزهز. وهزيزُ الريح: صوتُ حرَكتها،

الهزهزةُ: تحريك البلايا والحروبِ للناس. والهزاهزُ: الفتن يهتز فيها الناس... وماء هُزهزٌ في اهتزازه إذا جرى.(ابن منظور،١٤١٤هـ ،ج٥ص٤٢٣-٤٢٤)

فاصل المادة هي الحركة والاهتزاز، ولم يختلف أهل التفسير عن أهل اللغة في بيان دلالة اللفظة ،فقد جاي في تفسير الماوردي :

{فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} وفي {اهْتَزَّتْ} وجهان:

احدهما: معناه أنبتت ، وهو قول الكلبي. والثاني: معناه اهتز نباتها واهتزازه شدة حركته ، كما قال الشاعر:

(تثني إذا قامت وتهتز إن مشت ... كما اهتز غُصْن البان في ورق خضرِ)

{وَرَبَتْ} وجهان: أحدهما: معناه أضعف نباتها. والثاني: معناه انتفخت لظهور نباتها ، فعلى هذا الوجه يكون مقدماً ومؤخراً وتقديره: فإذا أنزلنا عليها الماء رَبتْ واهتزت ، وهذا قول الحسن وأبي عبيدة ، وعلى الوجه الأول لا يكون فيه تقديم ولا تأخير. {وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} فيه وجهان: أحدهما: يعني من كل نوع ، وهو قول ابن شجرة. والثاني: من كل لون لاختلاف ألوان النبات بالخضرة والحمرة والصفرة. {بَهِيجٍ} يعني حسن الصورة.(الماوردي،د.ت،ج٤ص٩)

فاهتزت وربت بمعنى تحركت بالنبات ،لأن ربت بمعنى ارتفعت وانتفخت من الربوة وترعرع النبات في داخلها فتتحرك وتتشقق الأرض ليخرج نباتها ،وهذا فيه دليل عقلي لمن أنكر البعث بعد الموت بأن من أخرج النبات من الأرض الميتة وأحياها قادر على إخراج الموتى من قبورهم أحياء ولاسيما أن إعادتهم أيسر من أنشائهم أول مرة وكل على الله يسير ،فعودت التأليف والتركيب إلى تلك الأجزاء المتفرقة ممكن لذاته ،كما أن عودة الحياة والعقل والقدرة إلى تلك الأجزاء بعد اجتماعها ممكن لذاته أيضا فهو القادر على كل شيء.

أما أصوات هذه الكلمة فهي متكونة من صوتين هما الهاء والزاي : فالهاء بما فيها من همس ورخاوة وانفتاح وخفاء وضعف لتدل على التلاشي لتناسب تلاشي سكون الأرض فلم تعد هامدة كأن الحياة دبت فيها دبيبا خفيفا ،ليأتي صوت الزاي بما فيه من جهر ورخاوة واستفال وانفتاح وصفير ،ليدل على التقلع القوي ليحاكي تشقق الأرض واهتزازها لحظة ولادة نباتها كما ان تكرار الزاي يعطي من القوة ما يناسب ذلك التصدع في الأرض والإحياء الجديد فسبحان من خلق كل شيء بقدر وأرى

رأي الجاحظ في أن قوة اللفظ ترجع إلى قوة الأصوات التي يتكون منها ،وأن من المحال وجود لفظ يتمتع بالشدة أو القوة دون أن يكون رجع ذلك إلى أصواته وأدائه (محمود،١٩٨٤،ص١٥٥)

من كل ما تقدم يتضح بجلاء أن القرآن الكريم يتميز بالتلاؤم التام بين طبيعة المواقف والأغراض وبين التعبير عنها ، فأينما يكون التهديد والوعيد والعذاب يكون التعبير قويا جملة وتفصيلا ،بحيث تكون الأصوات زاجرة زجر ما تحمله من معاني ،وأينما يكون النعيم والمكافأة والجزاء الأوفر يكون التعبير ليناً رقيقا بكل حروفه ومقاطعه وأدائه الصوتي .ليحمل معاني المودة والارتياح.

نتائج البحث

١- الترابط بين الصوت والمعنى أصّله اللغويون العرب من المعنيين بعلم الصوت والصرف وبنوا عليه بنيانه الذي وضح تلك الوشائج الدلالية الوثيقة، والعميقة ،وجاء بحثنا هذا ليؤكد تلك الإشارات من خلال وقفات تطبيقية استعرضت عددا من الألفاظ الآضطرابية الاهتزازية بيّنا من خلالها واستنادا إلى آراء اللغويين والمفسرين وتوجيهاتنا لها صواب تلك المقولات في ارتباط جرس الألفاظ واصواتها بدلالتها ،وأشرنا إلى عبقرية القرآن في اختيار الألفاظ وتوزيعها على ما يشبه اللوحة المعبرة بل الصور التي تشكل مشهدا متجانسا يوصل المعنى المراد موسعا معنى المفردات اللغوية المعتادة

٢- وزن فَعْلَلة يكثر استعماله للدلالة على تكرار الشيء ذاته ،وما يصاحبه من انبعاث الصوت ،دالا على محاكاة الفعل أو الحدث المتكرر واقعا ،وهذا ما لمسناه في الفقرة الأولى من هذا البحث.

٣- القرآن الكريم ميدان رحب وواسع لدراسة الألفاظ و دلالاتها الصوتية المتنوعة .وهو مشحون بألفاظ ذات دلالة خاصة سميت بالألفاظ الاضطرابية والاهتزازية تشعرك أصواتها بداهة بالحركة والاضطراب والاهتزاز ،فإذا تبينت معانيها اللفظية والسياقية تأكد ذلك المعنى (الانطباعي البدهي) وهو أمر أثبتناه عن طريق استعراض طائفة واسعة من أقوال اللغويين والمفسرين في جملة كبيرة من تلك الألفاظ التي عالجناها في بحثنا هذا وقد تعددت مبانيها فهي تارة مكررة المقطع وتارة مكررة الصوت الواحد وتارة على بناء معين مثل فعلل.

٤- التكرار الفني للمقطع الصوتي في الكلمة ؛وتكرار الكلمة ذاتها أسلوب قرآني رفيع له أثره البالغ في تحقيق الدلالة المقصودة وبيانها

٥-وظف القرآن الكريم جرس الألفاظ توظيفا عمليا في استحضار الصورة الفنية المطلوبة في ذهن السامع ،فكأن سماع ذلك الإيقاع المعبر يغني عن رؤية المشهد .وألفاظ الفقرة الثانية من هذا البحث تؤكد ذلك.

٦-إن الانسجام والتناغم بين معنى الحرف وصوته في النظم القرآني يمثل قمة الإعجاز البلاغي والدلالي لذلك لا يمكن استبدال صوت مكان صوت آخر ولا حرف مكان حرف آخر فضلا عن استبدال الكلمة ،كما ذكر المفسرون ولمسناه من مجمل البحث .

٧-قوة الاضطراب و الاهتزاز في الألفاظ نلمسها بوضوح سواء أكان اضطرابا واهتزازها ماديا ملموسا مثل: دمدم ، وزلزل ،وزحزح وغيرها ،أو معنويا مدركا مثل حصحص ، ،وأزّ. وفي كلا الحالتين وظف القرآن الكريم تلك الألفاظ في سياق مؤثر بالغ البيان يوصل المعنى بالصوت والصورة والإيحاء والدلالة المعنوية للألفاظ حتى أن النص يؤثر في الوجدان مع تأثيره في العقل أو قبل ذلك ، فسبحان من أعجز بكلامه البلغاء وبلّغ مقاصده العقلاء.

٨-من كل ما تقدم يتضح بجلاء أن القرآن الكريم يتميز بالتلاؤم التام بين طبيعة المواقف والأغراض وبين التعبير عنها ، فأينما يكون التهديد والوعيد والعذاب يكون التعبير قويا جملة وتفصيلا ،بحيث تكون الأصوات زاجرة زجر ما تحمله من معاني ،وأينما يكون النعيم والمكافأة والجزاء الأوفر يكون التعبير ليناً رقيقا بكل حروفه ومقاطعه وأدائه الصوتي .ليحمل معاني المودة والارتياح.

مصادر البحث

القرآن الكريم

١- أساس الباغة : ، تأليف العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،دار صادر، بيروت ،١٩٧٩م
٢- الأصوات اللغوية :د. إبراهيم أنيس ،مكتبة نهضة مصر بالفجالة ،مطبعة لجنة البيان العربي ،ط٢، ١٩٥٠،
٣- أنوار الربيع في أنواع البديع : صدر الدين المدني علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (ت ١١١٩هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان ،النجف الأشرف،ط١، ١٩٦٩م.
٤- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ،تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر ،بيروت، ١٤٢٠هـ:
٥- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) خرّج حديثه وقدم له وعلق عليه .مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،ط١، بيروت ،١٩٨٨م
٦- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ،د. محمد إبراهيم شادي ،الرسالة ،مصر،ط١، ١٩٨٨م

٧- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،مطبعة لجنة التأليف والنشر ،١٩٤٨م
٨- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ،المطبعة العلمية ،النجف الأشرف ، ١٩٥٧م
٩- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي(ت ١٣٩٣هـ) ،الدار التونسية للنشر ،١٩٨٤م.
١٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم :العلامة حسن المصطفوي ،مركز نشر آثار العلامة المصطفوي ،طهران ،١٣٩٣هـ
١١- تفسير القرآن :أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق :ياسر بن ابراهيم وغنيم بن عباس غنيم ،دار الوطن ،الرياض . السعودية ،ط١٩٩٧،١م
١٢- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ،ط٢٠٠١،١م
١٣- تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي :د. أسعد أحمد علي، دار السؤال طباعة والنشر، دمشق ،ط٣، ١٩٨٥م
١٤- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م
١٥- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) ،تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية، القاهرة ،ط٢، ١٩١٤م
١٦- جمهرة اللغة : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) ،تحقيق :رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط١، ١٩٨٧م.
١٧- . الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة/١٩٦٩م
١٨- الخصائص :أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ،حققه محمد علي النجار ،دار الهدى للطباعة والنشر :ط٢، بيروت لبنان (د.ت)
١٩- دور الكلمة في اللغة :ستيفن أولمان ،ترجمه وقدمه وعلق عليه د. كمال محمد بشر ،مكتبة الشباب ،مصر، القاهرة ، ١٩٧٥
٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي(ت ١٢٧٠هـ) تحقيق :علي عبد الباري عطية ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١، ١٤١٥هـ
٢١- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت٩٧٧هـ) ،مطبعة دار المعرفة ،بيروت.
٢٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ،بيروت ،ط٤، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م
٢٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج(ت٢٦١هـ) ،وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه محمد فؤاد عبد الباقي ،دار سحنون ، تونس ،ط١٩٩٢،٢م
٢٤- الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم ،د. محمد فريد عبد الله، دار ومكتبة الهلال ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٨م

٢٥- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تأليف الشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٩٩٦م
٢٦- العين ،الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي ،ود. إبراهيم السامرائي ،طبع وزارة الثقافة والإعلام ،بغداد ،١٩٨٠.١٩٨٥م
٢٧- الفروق اللغوية :أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ) ،حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة.
٢٨- في ظلال القرآن : سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) دار الشروق ،بيروت ،ط١٧، ١٤١٢هـ
٢٩- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط٨، ١٤٢٦هـ
٣٠- الكتاب :أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ،تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ،ط٣، القاهرة ، ١٩٨٨م،
٣١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)،دار الكتاب العربي – بيروت
،ط٣ ، ١٤٠٧هـ
٣٢- الكشف والبيان في تفسير القرآن :أبو اسحاق أحمد بن محمد الثعلبي(ت٤٢٧هـ)،تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط١،٢٠٠٢م
٣٣- لطائف الإشارات = تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)،تحقيق: إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ،ط٣
٣٤- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقي (ت ٧١١هـ) ،دار صادر – بيروت،ط٣ ، ١٤١٤ هـ
٣٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ، القاهرة
٣٦- مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت ٥٤٨هـ)، وقف على تصحيحه والتعليق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ١٣٣٩ش
٣٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١
٣٨- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)،تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م
٣٩- المحيط في اللغة : إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)
٤٠- المصطلحات العسكرية :محمود شيت خطاب ،دار الفتح ،بيروت
٤١- معالم التنزيل = مختصر تفسير البغوي ، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١٦هـ

٤٢- معاني القرآن ،أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ،ومحمد علي النجار ،وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي ،دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ،ط١
٤٣- معجم أسماء الأصوات وحكاياتها : محمد عواد الحموز ،مكتبة المجمع العربي للنشر والتوزيع ،ط١، ٢٠٠٦م
٤٤- معجم اللفاظ والأعلام : مجمع اللغة محمد إسماعيل وأخرون ،طهران ،طبعة آرمان.
٤٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،وضعه محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر للطباعة والنشر ،ط١٩٨١،٢
٤٦- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
٤٧- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ،(د.ت)
٤٨- . الملامح الأدائية عند الجاحظ في البيان والتبين : عبد الله ربيع محمود ،ط١، ١٩٨٤م.
٤٩- النكت والعيون = تفسير الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٥٠- نهج البلاغة : الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) (ت٣٦هـ) جمع الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الجيل ،بيروت، ط٢ ، ١٤١٦ق
٥١- نور الثقلين : الشيخ عبد علي جمعة العروسي الحويزي(ت ١١١٢هـ) ،تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي ،طبعة إسماعيليان ،قم ،ط٤، ١٤١٢هـ .

هوامش البحث

١ . اخترنا الألفاظ التي لمسنا فيها معنى الاهتزاز والحركة الشديدة أكثر من غيرها
٢. المقصود بالجزل أن يكون اللفظ متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع لا ان يكون وحشيا متوعرا المثل السائر:١٠٠